تنزيل المفاهيم القرآنية على الواقع المعاصر

" دراسة تأصيلية "

أ.م. د. حمادة ربيع عبد الحكيم عبد الرحيم (*)

ملخص البحث:

تدور فكرةُ هذا البحث حولَ التلقي العملي الحي للقرآن الكريم باعتبارها الطريقة المُثْلى لأهمِ وأفضلِ صورِ التعبدِ الحقيقي لكتابِ الله تعالى، والمقصودُ بالتلقي العملي الحي هو تنزيل آيات القرآنِ ومضامينها على الواقع المعيش، مع تتبع أبعادِ مفاهيمها بدلالاتِها الرمزية في الواقعِ المعاصرِ- ما دامت النماذجُ واحدةً، وإنْ اختلفتْ مُسمياتها- بصورةٍ صحيحةٍ وإيجابيةٍ بناءة.

إذْ ليس منْ مظاهرِ التعبدِ الحقيقي لكتابِ الله تعالى الوقوفُ عندَ حدِ تعبيراتِه، وأشخاصِه، وقصصِه، ووقائعِه، وكأنّها تجسدُ تاريخًا مضى، وزمانًا قد انقضى بكلِ صورِه وأحكامِه.

وإنّما الواجبُ أنْ يُنْظَر إليها على أنّها تحملُ صفة التجددِ والاستمرارية، وكأنّها كائن حي يسعى بين الناسِ يأمرُهم، وينهاهُم، ذلك وأنّ الآيات في حقيقتِها تعطي القارئ العبرة والعظة، التي تمكنه منْ القيامِ بعمليةِ تنزيلٍ للأحداثِ الماضِيةِ على الوقائعِ الحاضرةِ، وهو ما يُؤكد على أنّ القرآنَ صالحٌ لكلِ زمانٍ ومكان.

الكلمات المفتاحية:

المفاهيم القرآنية، التنزيل، الواقع المعاصر، التأصيل.

(*) أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد- قسم الدراسات الإسلامية - كلية الآداب - جامعة المنيا - البريد الإلكتروني: hamada12@mu.edu.eg

Applying Quranic Concepts to Contemporary Reality "An Authentic Study"

Dr. Hamada Rabie Abdel Hakim Abdel Rahim
Assistant Professor of Interpretation and Sciences of the Qur'an

Abstract:

The idea of this research revolves around the live practical reception of the Holy Qur'an as it is the ideal method for the most important and best forms of true worship of the Book of God Almighty. What is meant by the live practical reception is the revelation of the verses of the Qur'an and their contents on the lived life, while tracing the dimensions of its concepts with their symbolic connotations in contemporary reality - as long as the models are the same. Even if their names differ - in a correct, positive and constructive manner.

It is not a manifestation of true worship of the Book of Allah Almighty to stop at its expressions, persons, stories, and facts, as if they embody a past history and a time that has passed in all its forms and provisions.

Rather, it should be seen that it bears the character of renewal and continuity, as if it is a living being that seeks among people, ordering them and forbidding them, and that the verses in reality give the reader a lesson and a sermon. Which enables him to carry out a projection of past events on the present facts, which confirms that the Qur'an is valid for every time and place.

Keywords:

Quranic concepts, revelation, contemporary reality, authentication.

مقدمة:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَعَالِي عَنْ الشَّبِيهِ وَالنَّظِيرِ، الْمُنَزَّهِ عَنْ وَصْفٍ يُدْرِكُ بِهِ حِسٌّ، أَوْ يَخْتَلِجُ بِهِ ضَمِيرٌ. أَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَسْبَغَ مِنْ نِعْمَتِهِ، وَأَبْلَغَ مِنْ دَقِيقِ حِكْمَتِهِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةَ مُتَحَقِّقٍ لِعُبُودِيَّتِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدُه وَرَسُولُه، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه، وَمَنْ تَبِعَهُم بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِين.

وبعد، فلقد بات العصرُ الحاضر يمثّل نقطةَ الذروة في التدافعِ الحضاري بين أمةِ الإسلامِ والأممِ الأخرى، ولم يكن ذلك إلا بحكمِ الخيريةِ التي وهبها الله تعالى لأمتِنا. قال تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾(١). ولعل أكبرَ تحدٍ لأمةِ الإسلامِ – اليوم - يرجع إلى كونها ملزَمةً بمواكبةِ التحدياتِ الحضاريةِ ومواجهةِ التدافعِ، وذلك من خلالِ مجابهةِ كلّ برامجِ الفسادِ والإفسادِ - على كافةِ الأصعدةِ والمستويات - الذي بات يتسرّب إلى أبناءِ الأمةِ شيئًا فشيئًا، فأصبح ينخرُ في نسيجِ عقيدتِها، وقيمِها.

وإذا كان القرآن ولا يزال يشكل الأساس الرئيس لعمليات البناء والإصلاح، فإنّ أي محاولة لإجراءِ إصلاحٍ جديدٍ بعيدًا عن منهجه ستكون بلا شك محاولة فاشلة بكل المقاييس. إذ إنّ منهجه الإصلاحي يركز في الأصل على التربية وإصلاح النفس، المرتبطين بقيم الإنسانية، بينما تأتي القضايا الأخرى في سياق التبعية الطبيعية التلقائية. وعليه، فإنّ كل منْ يدعي أولوية الإصلاح لبعض القضايا الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية، فإنّه بذلك يخرق ميزان منهج الإصلاح الحقيقي الذي يحدده القرآن.

وعلى الرغم من الاهتمام الكبير بالقرآن الكريم وحفظتِه، والذي قد يصل أحيانًا إلى حد المبالغة في إظهار التقديس والتركيز على مظاهر العناية بالشكل بدلًا من المضمون، فإنّ الفجوة بين أفراد الأمة الإسلامية وقرآنهم تبدو واضحة في تعاملاتهم. هذه الفجوة تظهر جليًا على جميع المستويات وفي مختلف القضايا التي كان من المفترض أنْ يكون الكتاب الكريم فيها هاديًا ومرشدًا.

ولعل ذلك يرجع إلى أنّ ثَمَّةَ أمورًا كثيرة ومتنوعة قد مُنعت الأمةُ بسببها عن تلقي هدايات القرآن. منها ما قد يرجع إلى عدمِ تطبيقِ الأمةِ لأوامرِه، أو عدم الانتهاء عن نواهيه، أو تركِها العمل بما فيه. كل ذلك وسط الكثير من الدعواتِ المتزايدةِ والمتكررةِ حول ضرورةِ تجديدِ النظرِ في الطريقةِ والكيفيةِ التي يمكن أنْ يُتلقى النصُ القرآني عليها؛ بغية الاسترشاد بهداياته في الواقعِ الحياتي المعيش. في وقت كانت - ولا تزال - مناهجُ تفسيرِ القرآنِ هي البوابةَ الرئيسة والخطيرة المنفتحة على جميعِ واجهاتِ التدافعِ الحضاري - بكامل صورها - قديمًا وحديثًا.

ولم لا؟ فهو كلام الله تعالى الذي أعجز البشرية عن الإتيان بمثله. كما أنّه يُعد الدستور الشامل الكامل، القادر على مواجهة جميع التحديات وحل المشكلات

(١) آل عمران، الآية، (١١٠) .

المعضلات. بل إنّه يعد الأصل في وضع الأسس الأولى لتفسير جميع الظواهر بمختلف أشكالها.

هذا، ولما كان التفاعل العملي مع القرآن الكريم (التطبيق) يعد الأقل حضورًا في عملية التناول والدراسة (التنظير) في العصر الحالي. الأمر الذي يعكس إهدارًا لجانب أساسي ومهم في التعامل مع القرآن والارتباط به، كونه كتاب هداية في المقام الأول. والذي سار عليه الجيل الأول ومن تبعهم في زمن التأسيس المنهجي على هذا الطريق، حيث كانت منْ أبرز صور التعبد العملي للقرآن هي تطبيق آياته ومفاهيمه في الحياة اليومية، مع مراعاة أبعادها الواقعية بشكل صحيح وإيجابي.

ولتحقيق ذلك، فإنّ الأمر يتطلب الجمع بين النموذج المثالي والمعالجة الذكية المدعومة بفهم عميق لآياته ومفاهيمه ومصطلحاته، في إطارها القرآني والواقعي. حيث لا يمكن اعتبار الوقوف عند حدود قصص القرآن وأشخاصه ووقائعه وتعبيراته تعبدًا حقيقيًا، كما لو كانت تجسد تاريخًا مضى وزمانًا قد انقضى بكل تفاصيله وأحكامه.

فهذه الرؤية لا تتناسب مع إعجاز القرآن وخلوده، إذ يُعد القرآن دستورًا صالحًا لكل زمان ومكان. لذا، فإنّه يجب استحضار القصص القرآني بكل ما يحتويه من أحداث وشخصيات وتعبيرات، واعتبارها نماذج وحقائق تنطبق على جميع الأزمنة والأمكنة. صحيح أنّ تغير الأسماء أو الأشكال أو الأقوال أو الأحداث قد يحجب بعض الحقائق عن الواقع، إلا أنّ جوهرها يبقى ثابتًا. ويؤكد ذلك أنّ فهم البعد القرآني وارتباطه بالواقع المعاصر لا يتطلب الكثير من التعقيد أو التأويل البعيد، بل يحتاج إلى تدبر منهجي سليم.

من أجل ذلك كله، كان المنهج المتعلق بتنزيل مفاهيم القرآن على الواقع المعاصر جوهر القرآن والهدف من نزوله؛ بغيةَ المقاربةِ، وتصحيح ما يعنُ مِنْ مغالطاتٍ؛ ولِمَا لهذا المنهج من أهميةٍ تُمثل أحد أهمِ الجوانبِ المهمةِ والرئيسةِ في ربطِ واقعِ الأمة - المتمثلة في أفرادِها وبلدانِها - بالقرآنِ الكريمِ في جميعِ قضاياهَا ومشكلاتهَا. كانت أهميةُ هذه الدراسة، ودورُها التطبيقي، وذلك تحتَ عنوانِ: **(تنزيل المفاهيم القرآنية على الواقع المعاصر " دراسة تأصيلية ").**

أهميةُ الدراسةِ:

ترجع أهمية الدراسة وأسباب اختيارها إلى عدة أمور، منها:

١- استكشاف أبعاد بعض المفاهيم القرآنية - كلية كانت أو جزئية - في سياق الحياة المعاصرة، مع الأخذ بعين الاعتبار ما تتعرض له الظاهرة الإنسانية من تقلبات وجودية.

٢- التأكيد على أنّ القرآن الكريم يمتلك القدرة على مواجهة جميع التحديات المعاصرة، وحل المشكلات المعقدة، بل إنّه يضع الأسس الأولى لأي فكرة مفيدة يمكن تطبيقها.

٣- نبذُ فكرةِ الاعتمادِ على منهجِ النقلِ دونَ النظرِ والتطبيقِ على الوقائعِ المشابهةِ لأحداثِ الآياتِ القرآنيةِ، وهو ما عطلَ العقولَ والمدارك عن مسايرةِ الأمةِ لدورها الحضاري بين الأممِ، وكذا لوقائِعِها المستجدة.

٤- العملُ على تجديدِ روحِ الأمةِ بالارتكازِ على جذورِها الحضاريةِ والثقافيةِ، منْ قرآنٍ وسنةٍ؛ وذلك منْ خلالِ ربطِهما بالواقعِ المُسْتَحْدَثِ، قولًا، وعملًا، وسلوكًا.

٥- التأكيدُ على إعجازِ القرآنِ، وأنّه صالحٌ لكلِ زمانٍ ومكانٍ.

أسبابُ اختيارِ الدراسة:

ترجع أسباب اختيار الدراسة إلى عدة أمور، منها:

- وجوبُ الاعتناءِ بمراجعةِ المقاصدِ القرآنيةِ وتنزيلها على الواقعِ الحياتي المعيش.
- الحاجةُ الماسةُ إلى تصورٍ جديدٍ لمنهجٍ تفسيري قائمٍ على ربطِ واقعِ الأمةِ بقرآنها، بفهمٍ دقيقٍ وعملٍ. الأمرُ الذي يساعدُ أبناءَ الأمة على اللحوقِ بركبِ الحضارةِ والتطورِ.
- ضرورةُ كتابةِ تفسيرٍ للقرآنِ يربطُ القرآنَ بواقعِ الأمةِ، هذا التفسيرُ يفِي بمتطلباتِها وحاجاتِها، ويقومُ على حلِ مشكلاتِها، ويأطرُ لأسسٍ تساعدُ الأمةَ الإسلامية على النهوضِ والترقي؛ لاستعادةِ دورِها في قيادةِ العالم، وذلك منْ خلالِ برنامجٍ علميٍ عمليٍ محدودٍ بوقتٍ معينٍ، وفقَ المنظورِ القرآني، وتطبيقًا لهديهِ الحكيمِ.

أسئلةُ الدراسةِ:

تأتي هذه الدراسة كي تجيبَ على عدةِ تساؤلاتٍ، منها:

- ما المقصودُ بالمفاهيم القرآنية؟
- ما المقصودُ بالواقع المعاصر؟
- هل يمكن تنزيل بعض المفاهيم القرآنية على الواقع المعاصر؟
- ما النماذج الواقعية المماثلة والمشابهة لبعض المفاهيم القرآنية؟

أهدافُ الدراسةِ:

جاءت الدراسةُ كي تميطَ اللثام عن بعضِ أبعاد الألفاظ أو المفاهيم القرآنية في وقائعِها المعاصرةِ أو المستحدثةِ أو المستجدةِ؛ بغيةَ ربطِ الأمةِ بكتابِها الحكيم.

منهجُ الدراسةِ:

تقتضي سلامةُ الوصولِ إلى نتائجَ صحيحة؛ أنْ أتبعَ في هذه الدراسة: المنهج الاستقرائي والتحليلي المقترن بالمنهجِ الاستنباطي، الذي يعتمد على عمليةِ القراءةِ المتأنيةِ وتحليلِها؛ ومن ثمّ استخراج عبرها، والفوائد منها بما يخدمُ خطةَ الدراسة.

هذا، وقد اختارت الدراسةُ بعضَ الألفاظِ المفردةِ، اسمًا كان أو صفة أو فعلًا، وبعض الألفاظِ المركبةِ من كلمتينِ أو أكثر، وكذا بعض الأشخاص الذين تم ذكرهم بالاسمِ، أو الصفةِ أو الكنيةِ، وأيضًا بعض الألفاظِ ذاتَ الدلالةِ الرمزيةِ، كأسماءِ السور، أو القصصِ مما ترى الدراسةُ فيها بُعْدًا واقعيًا في الواقعِ المعيش.

الدراساتُ السابقة:

بعد القراءةِ والبحثِ المتأني عما كُتب من موضوعات، فيما يخص قضية تنزيل المفاهيم القرآنية على الواقع المعاصر من تراثٍ علميٍ، لم أجد - فيما اطلعتُ عليه – من دراساتٍ منشورة تتكلم عن شيءٍ من ذلك القبيل؛ لذا فقد استعنتُ باللهِ للكتابةِ فيه.

خطةُ الدراسةِ:

هذا، وقد وقعتُ الدراسةُ في مقدمةٍ تناولت فيها: الأهميةَ، والأسبابَ التي دعت إلى اختيارِها، والأسئلة التي تدورُ حولها، والمنهجَ المتبع للوصولِ إلى نتائجَ صحيحة، والدراسات السابقة عليها، والخطةَ التي ستقوم عليها، ثم أردفتُ ذلك:

- **بالتمهيد، وأتناول فيه مفردات عنوان الدراسة: حقيقة المفاهيم القرآنية.**
  <u>وقد اشتمل على ثلاث نقاط:</u>
  - **أولًا: تعريف المفاهيم لغة واصطلاحًا.**
  - **ثانيًا: تعريف الأبعاد لغة واصطلاحًا.**
  - **ثالثًا: تعريف المعاصر لغة واصطلاحًا.**

ثم جاءت بعد ذلك المباحث الثلاثة، وهي:

- **المبحث الأول: والذي جاء تحت عنوان: أبعاد المفاهيم في القرآن الكريم.**
  <u>وفيه مطلبان</u>:
  - **المطلب الأول: أبعاد مفهوم المفردة في القرآن.**
  - **المطلب الثاني: أبعاد مفهوم المفردة المركبة في القرآن.**
- **أما المبحث الثاني: فقد جاء بعنوان: أبعاد مفهوم الأشخاصِ في القرآنِ الكريمِ. <u>وفيه مطلبان</u>:**
  - **المطلب الأول: أبعاد مفهوم الاسمِ أو اللقبِ في القرآنِ.**
  - **المطلب الثاني: أبعاد مفهوم الصفةِ أو الكنيةِ في القرآنِ.**

- **وأما المبحث الثالث: فقد ناقش: أبعاد مفهوم الرمزِ في القرآن الكريم.**

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: أبعاد مفهوم الرمز المفرد في القرآن.**
- **المطلب الثاني: أبعاد مفهوم الرمز المركب في القرآن.**
- **المطلب الثالث: محترزات التعامل مع قضية أبعاد المفاهيم في القرآن الكريم.**

وبعد المباحث الثلاثة جاءت الخاتمة، وبها أهم نتائج وتوصيات الدراسة.

التمهيـــــــــــــــد

حقيقة المفاهيم القرآنية

أولًا: تعريف المفاهيم لغة واصطلاحًا.

أ- تعريف المفهوم لغة.

من خلال تتبَّع الجذر اللغوي لمادَّة (ف هـ م) في عدة معاجم، لم أجد اللفظة تتجاوز معانٍ ثلاثة، وهي: المعرفة، العقل، العلم.

يقال:" فَهِمْتُ الشَّيء فَهَمًا وفَهْمًا: عَرَفْتُه وعَقَلْتُه، وفهّمتُ فلانًا وأَفْهَمْتُه: عَرَّفْته"[(١)].

و" ف هـ م : فَهِمَ الشيء بالكسر فَهْما وفَهَامةً، أي: علمه، وفلان فَهِمٌ، واسْتَفْهَمَهُ الشيء فَأَفْهَمَهُ، وفَهَّمَهُ تفهيمًا، وتَفَهَّمَ الكلام فهمه شيئًا بعد شيء"[(٢)].

الناظر إلى الصيغة التي ورد بها لفظ المفهوم: يجد أنها صيغة اسم مفعول، ولعل من المعاني المستفادة من هذه الصيغة: أنَّ لفظ المفهوم هو النتيجة المتحصلة، أو هو ما يصبح به اللفظ أو الشيء معقولًا ومعروفًا.

ب- تعريف المفهوم اصطلاحًا.

المفهوم في الاصطلاح: " هُوَ الصُّورَة الذهنية، سَوَاء وضع بإزائها الْأَلْفَاظ أَو لَا "[(٣)].

والمفهوم عند المنطقيين ما حصل في العقل، أي من شأنه أنْ يحصل في العقل سواء حصل بالفعل أو بقوة الذات، كالكلّي أو بالواسطة كالجزئي.. ثم المفهوم والمعنى متحدان بالذات، فإنّ كلّا منهما هو الصورة الحاصلة في العقل.. فمن حيث إنّها تقصد باللفظ سمّيت معنى، ومن حيث إنّها تحصل في العقل سمّيت بالمفهوم..

(١) كتاب العين، الفراهيدي، باب:(الهاء والميم والفاء معهما ف هـ م)، ٤/ ٦١.
(٢) مختار الصحاح، الرازي، باب:(الفاء)،١/ ٥٠٠.
(٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الحنفي، ص٨٦٠.

وعند الأصوليين خلاف المنطوق. وهو ما دلّ عليه اللفظ لا في محل النطق، بأنْ يكون حكمًا بغير المذكور، وحالًا من أحواله[١].

ويعرَّفه (إنجليش) بقوله: " كل موضوع شعوري يتضمَّن معنًى ودلالة، فهو كل شيء يمكن أن يفكِّر فيه الفرد أو يميزه عن غيره من الأشياء الأخرى، وهذا ما نسمِّيه في علم النفس بالتصوُّر، ويلحظ فيه معنًى عام، أو كل ما يمكن أن يستدلَّ به على عدد من الأفراد أو الموضوعات"[٢].

كما يعرفه (وارن) بقوله: "عمليَّة ذهنيَّة تشير إلى مجموعة من الموضوعات أو الخِبرات، أو إلى موضوع واحد في علاقته بغيره من الموضوعات"[٣].

أو هو: " تمثيل ذهني عام للسمات المشتركة والثابتة بين فئات من الموضوعات القابلة للملاحظة، والذي يمكن تعميمه على كل موضوع يمتلك نفس السمات"[٤].

ولعل من أشهر التعريفات المتداولة للفظة المفهوم، قول القائل: " المفهوم معناه المنطقي هو مجموع الصِّفات والخصائص التي تحدِّد الموضوعات التي ينطبق عليها اللفظ تحديدًا يكفي لتمييزها عن الموضوعات الأخرى؛ فمفهوم الإنسان بالمعنى الأرسطي - مثلًا - هو أنَّه حيوان ناطق، وماصدقاته هم: أحمد ومحمد، وسائر أفراد الناس"[٥].

وعليه، فإنّه يمكن القول بأنّ المفهوم ليس محصورًا فيما يمكن التعبير عنه باللفظ؛ بل إنّه أوسع من ذلك، حيث يمكن أنْ يكون المفهوم لفظًا، أو نصًّا، أو حدثًا مثلًا، كما يمكن أن يكون المفهوم مصرَّحًا به، أو غير مصرَّح به.

جـ التعريف الإجرائي للمفاهيم القرآنية:

من خلال التعريفات اللغوية والاصطلاحية للفظة المفهوم، يمكن وضع تعريف إجرائي للمفهوم القرآني بما يتناسب مع الدراسة التي بين أيدينا، وخاصة أنّ هذا البحث له علاقة بالتفسير الإشاري المحمود، والتفسير بالمفهوم. على أنّه: ذاك المفهوم القرآني المعبَّر عنه بلفظ أو رمز أو شخص، يكتسب خصوصية دلالية داخل الاستعمال القرآني، هذه الدلالة في ذاتها تحمل امتدادًا جزريًا، يمتد من نزول الوحي على قلب النبيﷺ حتى آخر الزمان، وهذا المفهوم يمكن تمثله وتصوره في الذهن مع النموذج المماثل له في سماته، وصفاته، وخصائصه، وبالتالي أخذ حكمه-

(١) انظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ٦١٧/٢.
(٢) بناء المفاهيم (المقاربة المفاهيمية)؛ إعداد: محمد بن يحيى زكريا، وحناش فضيلة، ص١٧.
(٣) المرجع نفسه، ص١٧.
(٤)أهمية المفاهيم العلمية في تدريس العلوم، منصور مصطفى، ص٩٠.
(٥) بناء المفاهيم؛ دراسة معرفية ونماذج تطبيقية الجزء الأول: إبراهيم بيومي، وآخرون، ص٣١.

وإنْ اختلفتْ المُسميات- وذلك بعد القابلية للملاحظة والتحقق. وظيفة هذه الدلالة القائمة للمفهوم هي لفت نظر المكلف إلى المشابهة في الحكم. وبالتالي حمله على تحسين سلوكه بصورة إيجابية تنطبق مع التصور الإسلامي.

ثانيًا: تعريف الأبعاد لغة واصطلاحًا.

أ- البعد لغة: " ضد القرب، وقد بَعُدَ بالضم بعدًا فهو بَعِيدٌ. أي: مُتَبَعِدٌ "(١). والبُعْدُ: اتساع المدى، ويقولون في الدعاء عليه: بعدًا له، أي: هلاكًا. وقالوا: إنّه لذو بعد، أي: ذو رأي عميق وحزم. البعيد: المتنائي. قالوا: تنح غير بعيد(٢). وهي أيضًا تأتي بمعنى: السمات والمظاهر أو الجوانب(٣). وعليه، فإنّ لفظة (البعد) تأتي بعدة معاني، هي: ضد القرب، الاتساع، العمق في الرأي، السمات المظاهر.

ب- البعد اصطلاحًا.

تعددت معاني لفظة البعد اصطلاحًا، حيث يقصد بها في البعد الاجتماعي للتربية: التأثير على الفرد من ناحية البيئة الاجتماعية، كما أنّها تأتي بمعنى: " مجموعة المدلولات المرتبطة بمفهوم الاستقامة، والآثار الناتجة عن تجسيد هذا المفهوم لدى الفرد المسلم، والتي تعمل على صقل شخصيته من جميع جوانبها العقدية، والتعبدية، والنفسية، والأخلاقية، والاجتماعية"(٤).

ومقصود البُعْد في الدراسة يرتبط بما يمكن أن يشمله المفهوم القرآني في الواقع المعاصر، من ناحية اتساع الفجوة والمدى بين بنية اللفظ ودلالاته الواقعية، ومن ناحية تنوع وتشعب مظاهره وسماته. ولعل ذلك يرجع إلى أنّ العلم بمرادات الألفاظِ والرموزِ وتطبيقاتهما على الواقع علم بعيد الغور، وإدراكه ليس بالأمر السهل اليسير؛ ذلك لأنّه يتطلب بُعد نظر، وعمق فكر، يقترنان بجودةٍ في الرأي، وحسنٍ في التدبير، وموافقةٍ للقواعدِ اللغويةِ والشرعية.

وقد يرتبطُ الأمرُ بالتشوْفِ، والتشوْقِ، اللذين يحملان الباحثَ على معرفةِ الوقائعِ المشابهةِ أو الموافقةِ للمفاهيم القرآنية في الواقعِ الحاضرِ أو المعاصرِ على وجهِها الصحيح. وفي رأيي: أنّه منْ غيرِ هذه السمات التي تم ذكرها، قد لا يتسنى للباحثِ الوصولَ إلى هذه الدلالاتِ أو المراداتِ من الأبعادِ، كما لا يمكن بلوغ تلك المعرفة على حقيقتها.

غير أنّ ما تعنيه الدراسةُ التي بين أيدينا من قضيةِ المفهوم القرآني، التي نحنُ بصددِ الحديثِ عنها، هي: مجموعة المدلولات أو السمات أو المظاهر المرتبطة بالمفاهيم والمعاني الواقعية للآيات القرآنية، من ناحية اللفظ أو الشخص أو الرمز، الموافق للواقع المعاصر.

---

(١) مختار الصحاح، الرازي، باب(الباء)، ٧٣/١.
(٢) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، باب(الباء)، ٦٣/١.
(٣) انظر: المرجع نفسه، باب(الباء)، ٦٣/١.
(٤)الأبعاد التربوية لمفهوم الاستقامة، سهير عبد الله كولك، ص٩.

ثالثًا: تعريف المعاصر لغةً واصطلاحًا.

أ. **المعاصر لغة:** من العَصْرُ، وهو الفترة الزمنية، ويُستخدم أيضًا للدلالة على العُصُر، مثل عُسْر وعُسُر. والجمع هو عُصُورٌ، والعَصْران هما الليل والنهار، ويُشار إليهما بالغداة والعشي. ومن هنا جاءت تسمية صلاة العَصْر. أما العَاصِرُ فهو ما يُصيب الشيء، و"اعْتَصَر" تعني استخراج المال من اليد. و"العُصَارَة" بالضم تشير إلى ما يخرج عند العصر. كما يُقال "عَصَرْت" الدمل لتفريغ محتواه. المُعْصِراتُ هي السحب التي تحمل المطر، و"اعْتَصَرَهُ" تعني استخراج ما بداخله، أو "عَصَرَهُ" بمعنى تولى أمره بنفسه. المعصِر هو الجارية التي تحيض، حيث تُحبس في البيت وتُعطى عَصَرًا. وكل حصن يُستخدم للتحصين يُسمى عَصَر. أما أصل العِصَار فهو ما تعصره الرياح من التراب في الهواء، والمعصور يُشير إلى اللسان الجاف بسبب العطش. وعَصَّر الزرع مأخوذ من العَصر، وهو الحِرْز الذي يُستخدم لحماية المحصول(١).

يتبين من التعريف اللغوي لمصطلح المعاصر أنّه يتضمن مجموعة من المعاني المتصلة والمترابطة، وهي: الزمن، الحالة، الشيء الجديد أو المستحدث، الرؤية الفردية، الحبس والمنع، الاستتار، اليبوسة.

وإذا اعتبرنا أنّ المعاصرة تعني أنّ الزمن يتغير وفق ظروف مختلفة تتباين بحسب الزمان والمكان، استنادًا إلى المستجدات المعاصرة، فإنّها تتطلب رؤية فردية تبرز هذه التغيرات. ومن المؤكد أنّ هذه الرؤية ستكون خاصة بصاحبها، متفردة عن غيرها. ومع كل ذلك، ستصبح هذه الرؤية واضحة وملموسة.

ب. اصطلاحًا: لم أتمكن - خلال ما اطلعت عليه من مراجع - من العثور على دراسة تتناول تعريف هذا المصطلح، باستثناء بعض الدراسات القليلة التي تتحدث عن المعاصرة بشكل عام. لذلك، سيسعى الباحث أولاً إلى تقديم تعريف عام، ثم يختار تعريفًا خاصًا يتناسب مع ما تهدف إليه الدراسة.

- **المعاصرة (بصفة عامة):** تتجلى المعاصرة في مجموعة من الاكتشافات العلمية التي تم تحويلها إلى تكنولوجيا من قبل الصناعة. وقد أسهمت هذه التكنولوجيا في تحديث وتجديد وتطوير ما هو قديم، كما عملت على تسريع وتيرة الحياة. وقد نتج عن ذلك بلورة أفكار واتجاهات جديدة في المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية، سواء من خلال الجهود الفردية أو الجماعية. فهي تعيد صياغة ما هو موجود وتضيف إليه ما يتماشى مع متطلبات العصر وتطوراته. وبالتالي، تشمل العصرنة بهذا المعنى معظم جوانب الحياة الحديثة.

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري، باب: (العين والصاد مع الراء)، ٢/ ١٠- ١٥، مختار الصحاح، الرازي، باب: (العين)، ١/ ٤٦٧، المصباح المنير، الفيومي، مادة: (ع ص ر)، ١/ ٢١٤.

- **المعاصرة (بصفة خاصة):** هي محاولة لنقل العلوم والمعارف والمفاهيم التراثية الإسلامية من زمن ومكان محددين إلى سياقات زمنية ومكانية مختلفة، مع الحفاظ على الثوابت المنصوص عليها شرعًا والمتعارف عليها عرفًا، وذلك تماشيًا مع ضرورة التطور التاريخي للمجتمعات الإنسانية، دون التطرق إلى تحليل ما هو محرم أو تحريم ما هو حلال.

المبحث الأول

أبعاد المفاهيم في القرآن الكريم

يُعد النظر إلى ضرورة الإحاطة بظلال مفاهيم الآيات القرآنية في الواقع المعاصر منهجًا تفسيريًا جديدًا؛ فهو بمثابة بيان عام وشامل للعلاقة بين بنية النص القرآني ودلالته المقاصدية في الواقع الحياتي المعيش. كما أنّ الوعي الكامل عند مفسر القرآن تجعله ينظر بعين الأهمية البالغة للبعد الواقعي الذي يعتمد على النظرة الكلية والفهم الشمولي للقرآن، والذي يحتم عليه أنْ لا يغيب عن خاطرهِ ضرورة تطبيق هذا البعد الواقعي لمفهوم الآيات القرآنية وتنزيلها على الوقائع المماثلة والمشابهة في الواقع الذي يعيشه.

ولبيان ما سبق يعمد الباحثُ إلى انتقاءِ بعضِ المفاهيم أو الألفاظ القرآنيةِ؛ بغية عمل بعدٍ واقعيٍ لها في الواقعِ المعيش.

المطلب الأول: أبعاد مفهوم اللفظة المفردة في القرآن.

المثال الأول- لفظة: ﴿اقْرَأْ﴾.

يقول الله تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾[١]. وقَرأَ في اللغة: من قرأ الكتاب قِراءَةً، وتأتي بمعنى: الجمع والضم، ومنه سمي القرآن؛ لأنّه يجمع السور ويضمها[٢]. ومعلوم أنّ سور القرآن تحوي الكثير من العلوم والمعارف، ويكأن لفظ (اقرأ) فيه إشارة إلى الأمر بجمع ما في القرآن من هذه العلوم وتلك المعارف وضمها إلى بعضها البعض؛ بغية الإفادة منها فيما يخص أمور الدنيا، والعمل بها لنيل ثواب الآخرة.

"وقد افتتحت السورة الكريمة بطلب القراءة من النبي ﷺ مع أنّه كان أميًا لتهيئة ذهنه لما سيلقى عليهﷺ من وحي، قال تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾. أي: اقرأ - أيها الرسول الكريم - ما سنوحيه إليك من قرآن كريم- ولتكن قراءتك

(١) العلق، الآية، (١).
(٢) انظر: مختار الصحاح، الرازي، باب(القاف)،١/٥٦٠

ملتبسة باسم ربك، وبقدرته وإرادته، لا باسم غيره، فهو ﷻ الذى خلق الأشياء جميعها، والذي لا يعجزه أنْ يجعلك قارئًا، بعد كونك لم تكن كذلك"[1].

هذا، وقد تجلت العناية الإلهية لرسول أمة الإسلامﷺ ومن بعده في أول ما نزل من القرآن بالإشارة والتأكيد على أهمية القراءة، باعتبارها أوّل المهام المنوط العمل بها، وأولى الاهتمامات التي يجب على الإنسان الحرص على ممارستها، فهي من أهم وسائل التعلم البشري لاكتساب المعارف، والمهارات، والخبرات المختلفة، وكذا فتح الآفاق أمام أفكار جديدة، والنهل من مختلف أصناف العلوم، والأدب، والفنون.

مما سبق يمكن القول بأنّ التعريف اللغوي للفظة (قرأ) وكذا المراد من الآية السابقة، يشير إلى أنّ المراد بالقراءة ليس مقصورًا على مجرد القراءة فحسب، إذ إنّ للفظة مفهومًا يمتد لأبعاد أخرى، فهي تشتمل على كل ما من شأنه أنْ يدفعَ المسلمَ إلى العلمِ، والتعلمِ، والفهمِ، والفقهِ، والاستيعابِ، والاستقراءِ، والاستنطاقِ لكلِ ما هو حوله مِنْ أقطارِ السماواتِ والأرضِ، ومَنْ حوله مِنْ الخلقِ. قال تعالى: ﴿**قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾[2]. ولعل من بين هذه الأبعاد:

- عند إرادةِ الحكمِ على شيءٍ أو قراءةِ شيءٍ، لابد أنْ يكون هذا الحكم أو هذه القراءة وفقَ منهجِ اللهِ تعالى، لا وفقَ الأهواءِ الشخصيةِ.
- إرادةُ تعليم الرسولﷺ والأمة من بعدهِ أنّ قراءة الأشياء باسمِ اللهِ ﷻ ووفق منهجهﷺ، تهدي المسلم إلى ما فيه الخير وتجنبه كل شر، وفي حال مخالفة الأمة لهذا المنهج ستكون النتيجة – حتمًا - على خلاف ذلك. قال تعالى:{ **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**}[3].

وقد " أمر بالتّقوى لأنّها مِلاك الخير، وبها يكون ترك الفسوق. وقوله: **{وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ}** تذكير بنعمة الإسلام، الذي أخرجهم من الجهالة إلى العلم بالشريعة، ونظام العالم، وهو أكبر العلوم وأنفعها، ووعدٌ بدوام ذلك؛ لأنّه جيء فيه بالمضارع، وفي عطفه على الأمر بالتقوى إيماء إلى أنّ التقوى سبب إفاضة العلوم، حتى قيل: إنّ الواو فيه للتعليل، أي ليعلّمكم"[4].

ولعل من صور العقوبات التي حلت بالأمة الإسلامية بسبب مخالفتها القراءة وفقَ منهجِ اللهِ تعالى، ما يأتي:

١ـ عَذابُ التيه:

إنّ التيه الذي تعيشه أمتنا الإسلامية اليوم يعود في الأصل إلى تقصيرها وتفريطها في طاعة ربها، ومخالفتها لسنة نبيهاﷺ خاصةً تلك الحركات التي تدّعي

(١) انظر: التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي، ٢٩/ ٦٤١.
(٢) يونس، الآية، (١٠١).
(٣) البقرة، الآية، (٢٨٢).
(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٥٨٢/٢.

الالتزام بمنهج الله ﷻ، فقد امتثلت مثل هذه الحركات الهدي الظاهري للإسلام، من لحية، وحجاب، ونقاب، دون السعي الجاد لفهم الأسس التي بُني عليها هذا المنهج. نتيجةً لذلك، نجدها تائهةً حائرةً، لا تعرف لها وجهة، ولا تستطيع الخروج من هذا التيه التي هي فيه. ظانة بذلك أنّها تخدم الفكرة الإسلامية، لكنها في الحقيقة بعيدة كل البعد عن منهجها الصحيح.

وما الازدراء العالمي الذي تتعرض له أمتنا الإسلامية لهو خير دليل على السخط والعقاب الإلهي. فلا يوجد دمٌ أرخص من دماء المسلمين، ولا تُنتهك حرمةٌ كما تُنتهك حرمات المسلمين. وما يجري في بلادنا الإسلامية في مختلف أنحاء العالم يُعد خير شاهد على ذلك.

٢- التخلفُ والتفرق:

لقد تخلف المسلمون في العلومِ الطبيعيةِ الماديةِ يوم أنْ تخلفوا في فهمهم وقراءتهم لكتابهم. فهم الآن في جهلٍ من دينهم وأمورِ دنياهم، وهو ما أودى بنا إلى ما تعيشه الأمةُ الآن من تجرعِ كؤوسِ الذلِ والهوانِ تبعًا لذلك.

وقد بين الله تعالى أنّ سبب هذا التغيير في الأمةِ الإسلاميةِ راجعٌ في الأصلِ إلى الوهنِ الذي تَوّلد عن حبِ الدنيا، وكراهيةِ الموتِ، وطاعةِ وموالاةِ الكافرين على المؤمنين، ما أدى بهم إلى التفرقِ والتشرذمِ، فكان الجزاءُ المستحَقُ هو نزع المهابةِ من قلوبِ الأعداءِ، ثم الانقلاب والنكوص على الأعقابِ، وفي النهايةِ الخسران المبين[١].

المثال الثاني- لفظة: ﴿الْمُطَفِّفِينَ﴾.

يقول تعالى:﴿**وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ**﴾[٢] والتطفيف: التنقيص، وهو الشيء الطفيف القليل الذي لا يهتم به الناس[٣]. وهو" الخسيس الدون الحقير"[٤]. وهذه الآية قد" نزلت في رجل كان له مكيالان كبير وصغير، إذا اكتال لنفسه على غيره، اكتال بالمكيل الكبير، وإذا كال من عنده لغيره، اكتال بالمكيل الصغير، ففي كلتا الحالتين تطفيف، أي تنقيص على الناس من حقوقهم"[٥].

ولعل البعد الواقعي لمفهوم لفظة التطفيف لا يقتصر على ما يفعله بعضُ التجار الجشعين في الكيلِ والميزانِ؟. ويؤكد ذلك أنّ نبي الله شعيبًا حينما بُعث لمحاربةِ مثل هذا الجرم، لم تقتصر رسالته على تقويمِ هذا السلوك التجاري وحده؟ قال تعالى:﴿**وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ**﴾[٦].

---

(١) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، ١٤٥٠/١، ١٤٥١.
(٢) المطففين، الآية، (١).
(٣) انظر: الصحاح، الجوهري، ٨٦/٦.
(٤) لسان العرب، ابن منظور، ٢٢١/٩.
(٥) أضواء البيان، الشنقيطي، ٤٥٤/٨.
(٦) الأعراف، الآية، (٨٥).

" أي: لا تنقصوهم حقوقهم، وإنّما قال: **{أشياءَهم}**، للتعميم تنبيهًا على أنّهم كانوا يبخسون الجليل والحقير، والقليل والكثير، وقيل: كانوا مكَّاسين لا يدعون شيئًا إلا مكسوه "[1].

قلت: إذا كانت الخسارةُ في الكيلِ والميزانِ طفيفة ومحتملة، فمن بابِ أولى ألاّ نبخس الناسَ أشياءهم فلا نظلمهم بالاستيلاءِ على حقوقِهم أو أخذ أموالِهم، بالاغتصابِ، أو الاختلاسِ، أو الرشوةِ؛ لأنّه إذا كان وفاء الكيل هو أول مطلوب الله من البشرِ، مع أنّ الخسارةَ فيه طفيفة قليلة، فبخس الناسِ أشياءهم يكون من بابِ أولى عندئذ.

لذلك، فإنّ أبشعَ أنواعِ التطفيفِ هو اشتراط مثالياتٍ خيالية حالمة فيمن نقومُ بالتعاملِ معهم، في حين السماح لأنفسنا بالتفريطِ الشديدِ والتدني الكبير في الصفاتِ التي تخصُ الذات، مما يجب أنْ نتحلى بها في تعاملنا مع الناس. قال تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ**﴾[2].

" قال قتادة في هذه الآية: اعدل يا بن آدم كما تحب أنْ يعدل عليك، وأوفِ كما تحب أنْ يوفى لك، فإنّ العدل صلاح الناس"[3].

ولعل في الآية إشارة إلى مراعاةِ عدمِ التطفيفِ في جميعِ أفعال وسلوكياتِ الإنسانِ. فالتطفيفُ يجب أنْ يُجْتَنَب مهما كانت صوره، وذلك يكون بالعدلِ في الحكمِ على النفسِ والغير. هذا، وقد يرجع أصل الآفاتِ السيئة والتي منها صفة التطفيف، إلى حبِ الدنيا والحرصِ على التزودِ منها، ولو بجمعِ المالِ من أخسِ الوجوهِ وأحقرِها.

وعلى ذلك، فمن صورِ التطفيفِ المعاصرةِ، ما يأتي:

- التاجرُ الذي يطلب ما يريد من مال في مقابل بيع أو شراء السلعة، ثم هو يطفف في المكيال والميزان.
- الزوجُ الذي يطلب من زوجته أنْ تؤدي له الحقوق كاملة، دون تقصير، ثم هو يمارس أبشع أنواع الظلم بحقها.
- الموظفُ - بوجه عام - الذي يأخذ حقه أو راتبه كاملًا، ثم هو لا يقوم بأداءِ عملِهِ على الوجهِ المطلوبِ.
- قاطعُ الرحمِ الذي يطلب من ذوي رحمه البر والصلة، ثم هو لا يقوم ببرهم أو صلتهم.
- العَوْلمةُ الثَّقافية التي تُؤسس لسيطرةِ قيمِ وثقافاتِ الدولِ القويةِ، وذلك بنشرِ قِيَمِها على الثَّقافاتِ الضعيفةِ، في مقابلِ تهميشِ العقائدِ الدينية[4].

---

(١) البحر المديد، ابن عجيبة، ٥١٥/٢.
(٢) الرحمن، الآية، (٩).
(٣) الكشف والبيان، الثعلبي، ٩/ ١٧٨.
(٤) انظر: العولمة، سليمان بن صالح الخراشي، ص٧.

المثال الثالث- لفظة: ﴿الْمِحْرَاب﴾.

المحرابُ: هو " المكان الرفيع والمجلس الشَّريف; لأنّه يدافع عنه ويحارب دونه "[١]. أو هو "مقدم المجلس وأشرفه، وكذلك هو في المسجد، والجمع المحاريب"[٢]. أو هو " صدر البيت ومقدمه، الذي لا يكاد يوصل إليه إلا بفضل"[٣].

وهو عند العرب " سيِّد المجالس، ومُقَدُّمها، وأشرفها، وإنّما قيل للقبلة محراب؛ لأنّهـــــــا أشرف موضع في المسجد. ويُقال للقصر محراب؛ لأنّه أشرف المنازل"[٤].

من التعريفات السابقة يمكن القول بأنّ المحراب: هو المكانِ البعيد عن الضوضاء الذي يتخذ للعكوفِ على عبادةِ اللهِ تعالى سواءً كان غرفةً أو مسجدًا، وهو أشرف المجالسِ وأرفعها، فهو يرمز إلى العكوفِ الجدي الذي يؤتي ثماره. قال تعالى: ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا**﴾[٥].

والمتأملُ في الآيةِ الكريمةِ يلحظ أنّ العكوفَ الجدي لمريم- عليها السلام- كان جالبًا الرزق لها بطريقةٍ إعجازيةٍ.

قال الإمام الرازي: " فثبت أنّ الذي ظهرَ في حقِ مريم - عليها السلام- كان فعلاً خارقًا للعادةِ"[٦].

يقول الإمام السعدي: " وفي هذه الآيةِ دليلٌ على إثباتِ كراماتِ الأولياءِ الخارقةِ للعادةِ، كما قد تواترت الأخبار بذلك، خلافًا لمن نفى ذلك، فلما رأى زكريا عليه السلام ما مَنّ الله به على مريم، وما أكرمها به من رزقهِ الهنيء الذي أتاها بغير سعيٍ منها ولا كسب، طمعت نفسه بالولدِ"[٧].

ولننظر أيضًا إلى قولِه تعالى من نفسِ السورة: ﴿**فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى**﴾[٨]. وهنا تقترن البشارة بالولدِ، والتي هي هي معجزة في ذاتِها بالعكوفِ الجادِ من قبلِ سيدِنا زكريا عليه السلام.

قال الإمام الرازي:" فهنالك طمع في انخراقِ العادةِ في حصولِ الولدِ من المرأةِ العقيمةِ الشيخةِ العاقر"[٩].

---

(١) الفائق في غريب الحديث، الزمخشري، ١/ ٢٧٣.
(٢) أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، قاسم القونوي، ٩٣/١.
(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص ٦٤٢.
(٤) الزاهر في معانى كلمات الناس، أبو بكر الأنباري، ٣٧٥/١.
(٥) آل عمران، الآية، (٣٧).
(٦) مفاتيح الغيب، الرازي، ٨/ ٢٧.
(٧) تيسير الكريم، السعدي، ص ١٢٨.
(٨) آل عمران، الآية، (٣٧).
(٩) مفاتيح الغيب، الرازي، ٨/ ٢٧.

ومن خلالِ التأملِ في الآيتين يمكن القول بأنّ: المنطق هنا يقول: العكوف لله تعالى– المستحضر للقوى النفسية، والقلبية، والعقلية، والجسدية – يأتي بالمعجزات بإذن الله ﷻ.

وبالقياس على ذلك، فإنّه يمكن القول بأنّ العكوف في محرابِ البحثِ العلمي– المستحضر للقوى النفسية، والقلبية، والعقلية، والجسدية – يأتي بالمعجزاتِ بإذنِ اللهِ ﷻ لأنّه قد لا يختلف محراب العلمِ عن محرابِ الصلاةِ. قال تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**﴾(١).

يقول الإمام ابن القيم:" العلم إمام العمل، وقائد له، والعمل تابع له ومؤتم به، فكل عمل لا يكون خلف العلم مقتديًا به فهو غير نافع لصاحبه، بل مضرة عليه"(٢).

وإذا كانت الصلاةُ عملًا يرتبط فيه القلب والعقل بالملأ الأعلى وحقائقه، وأسراره. وكان البحثُ العلمي علمًا وعملًا يرتبط فيه القلب والعقل بِكَوْنِ اللهِ الفسيحِ وما فيه من حقائق، وأسرار. لذلك، كان المحرابُ في كل منهما مقدسًا؛ لأنّ الصلاة عمل فيه تجاوب مع الآياتِ المسطرةِ المتلوةِ، والبحث العلمي علم وعمل فيه تجاوب مع آياتِ الكون المنظورةِ.

وعندما يفهمُ المسلمُ هذه الرمزية، فإنّه يسعى إلى الاعتكافِ في المحرابينِ معًا، في تناغمٍ يتناسبُ مع توحيدِ اللهِ وأداءِ واجباتِ خلافتهِ في الأرضِ. قال تعالى: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾(٣).

يقول الإمام ابن عاشور:" فإنّ تعليم آدم عليه السلام الأسماء وإظهار فضيلته بقبوله لهذا التعليم دون الملائكة جعله الله حجة على قوله لهم: {**إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**} أي: ما لا تعلمون من جدارة هذا المخلوق بالخلافة في الأرض، وعطف ذكر آدم عليه السلام بعد ذكر مقالة الله للملائكة وذكر محاورتهم، يدل على أنّ هذا الخليفة هو آدم عليه السلام"(٤).

المطلب الثاني: أبعاد مفهوم المفردة المركبة في القرآن.

المثال الأول- لفظنا: ﴿شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾.

يقول الله تعالى: ﴿**قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى**﴾(٥). ولفظ الوَسْوَسةُ هنا، معناه: "حديث النفس"(٦). والوَسْوَسةُ في الأصل: صوت الحليّ الحليّ أو الذهب الذي تتزين به المرأة، وهو الذي يجذب الأسماع فيُغرِي بالتطلع

(١) محمد، الآية، (١٩).
(٢) مفتاح دار السعادة، ابن القيم، ٨٢/١.
(٣) البقرة، الآية، (٣٠).
(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١/ ٣٩٣.
(٥) طه، الآية، (١٢٠).
(٦) الصحاح، الجوهري، ١٣٣/٥.

إليه، وكأنّ الله ﷻ يُحذِّرنا من كيد الشيطان الذي يمكن أنْ يدخل لنا منه. فطريقته الإغراء والتزيين.

فقد أغرى الشيطان آدم عليه السلام حينما سوّل له أنْ يأكل من شجرةٍ بعينها، مُحاولًا إقناعه بأنّ الأكل منها يعني الخلود والمُلك. ورغم تزيين الشيطان لآدم عليه السلام إلا أنّه لم يأكل منْها كي يحوز هاتين الميزتين. وهذا يدل على أنّه كان كاذبًا في توجيه النصح له عليه السلام. لذلك كانت الوَسْوَسة هي الوظيفة الرئيسة التي تتناسب مع ما يقوم به الشيطان في الواقع من محاولة التزيين والإغراء بالشيء.

هذا، وإنْ كان المراد من لفظتي﴿**شَجَرَةِ الْخُلْدِ**﴾ هو وسوسة الشيطان لآدم عليه السلام بقوله له: "هل أدلك على شجرة، إنْ أكلت منها خُلِّدتَ فلم تمت، وملكت مُلْكًا لا ينقضي ولا ينقطع"[(١)]. غير أنّ هذا المعنى ليس مقصودًا بذاته فحسب، وإنّما هما لفظتان جاءتا للدلالةِ على ما يقوم به إبليس من التزيين والإغراء لبني آدم. فاللفظتان تُعبران عن تلازم هاتينِ الصفتينِ له، كما تعلن الآية عن ولاية الله تعالى لكل من أطاعه، وزكى نفسه عن اتباع الهوى، وابتعد عن كل ما يوقع في الردى، لذلك كان الجزاء المستحق من اللهِ تعالى الجنة، قال الله: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾[(٢)].

ولعل من صور الإغراء والتزيين المعاصر: تسمية الأشياء بغير مسماها وإعطاؤها أسماء براقة لامعة؛ لمحاولة إخفاء ما بها من المحرم. والأصل في المسلم ألا يلتفت إلى مجرد الألفاظِ، وإنّما الواجب عليه النظر إلى حقائقها وما ترنو إليه؛ لأنّه ربما استعملت الألفاظ لمحاولة الخديعةِ والتدليس. ورب باطلٍ سيقَ مساقًا حسنًا؛ كي يكون مقبولًا لدى الناس، ولعل من ذلك:

١- تسمية المخدرات بهرمون السعادة:

إنّ تجار هذه المنكرات يحاولون إقناع ضحاياهم بأنّ ما يَتَعَاطُونه من الأشياء المخدرة، يمكن أنّ يصل بهم إلى إحساسٍ متفردٍ من الروحانيةِ، ومن ثم الوصول إلى قمةِ السعادةِ. لذلك، فهم يُلحون عليهم في العرضِ، حتى إذا وقعت الضحية في الفخِ. وبالتالي، يصبح مستعدًا لأداءِ كلِ الموبقاتِ من سرقة، وقتل، وغير ذلك من أجلِ شراء ما أدمنه منها.

٢- تسمية الخمور بالمشروبات الروحية:

يسمي تجار هذه الخمور منتجاتهم بالمشروبات الروحية[(٣)]. وهذه التسمية يُخيل إلى متعاطيها أنّها ليست خمرًا، الأمر الذي يجعلهم يُقْبلون عليها، وقد لا يدركون أنّها من المحرمات. **فعن عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ**

(١) التفسير الميسر، مجموعة من العلماء، ص٣٢٠.
(٢) النازعات، الآيتان، (٤٠-٤١).
(٣) الإسلام والحضارة المعاصرة، علي طنطاوي، ص٢٦٢.

اللَّهﷺ يَقُولُ: " إِنَّ أَوَّلَ مَا يُكْفَأُ. قَالَ زَيْدٌ يَعْنِى: الإِسْلاَمَ، كَمَا يُكْفَأُ الإِنَاءُ كَفْىَ الْخَمْرَ". فَقِيلِ: فَكَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ فِيهَا مَا بَيَّنَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهﷺ:" يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا فَيَسْتَحِلُّونَهَا"[1].

وذلك ليغروهم ويخدعوهم بكلمات تزخرفها وتزينها حيث لا يستطيعون الدخول بها على الناس؛ لذلك يعرضون ويبدون محاسن المعصية في ظاهر الأمر، مثال ذلك أنك لا تجد من يقول لآخر: اشرب الخمر لتصاب بتليف الكبد مثلا!! ولكن هناك من يقول: احتس الخمر ليذهب همك، وتنشط نفسك، ويكثر فرحك؛ ليغروهم بإظهار فائدة موهومة فيه، ويسترون عن الناس مضرّة هذا الشيء ومهالكه.. [2].

٣- تسمية الرشوة بالإكرامية أو البقشيش أو الشاي:

وهذه المسميات تُطلقُ على كلِ ما يُعْطى من المالِ لتحقيقِ باطلٍ أو إبطالِ حقٍ، على سبيل المثال: بذل المال تحت ما يسمى بالإكراميةِ أو البقشيش أو الشاي بدافع إنجاز مهمة من المهام، هذه المهمة متضمنة لظلم آخرين، والتقدم عليهم بغير حق. فهذا من الرشوة التي لا تجوز.

والأمرُ مطروحٌ لأهل الحِلِ والعقدِ فيما يمكن أنْ يصنعونه تجاه ما يحدث من تغييرٍ لمسمياتِ الأشياءِ؛ وذلك للضرورةِ الملحةِ في المحافظةِ على تسميةِ الأمورِ بمسمياتِها الشرعيةِ والواقعية، ومعاقبة كل من يخالف في ذلك.

المثال الثاني- لفظتا: ﴿مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾.

يقول الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾[3]. " أي: خالف أمري، وما أنزلته على رسولي، أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه ﴿**فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا**﴾ أي: في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حَرَج لضلاله، وإنْ تَنَعَّم ظاهره، ولبس ما شاء، وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء.. فهو في قلقٍ، وحيرةٍ، وَشَكٍ، فلا يزال في ريبةٍ يتردد"[4].

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه، باب(ما قيل في المسكر)، برقم، ٢١٠٠، ١٥٥/٢. ويذكر " أنّ أبا مسلم الخولاني حج، فدخل على عائشة، فجعلت تسأله عن الشام وعن بردها. فقال: يا أم المؤمنين إنّهم يشربون شرابًا لهم، يقال: له الطلاء. فقالت: صدق رسول اللهﷺ وبلغ حتى سمعته يقول: إنّ ناسًا من أمتي يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها. قال أبو عبيد: جاءت في الخمر آثار كثيرة بأسماء مختلفة، فذكر منها السكر بفتحتين. قال: وهو نقيع التمر إذا غلى بغير طبخ. والجعة بكسر الجيم وتخفيف العين نبيذ الشعير. والسكركة خمر الحبشة من الذرة. إلى أنْ قال: وهذه الأشربة المسماة كلها عندي كناية عن الخمر، وهي داخلة في قوله ﷺ يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها". فتح الباري، ابن حجر، ٥٢/١٠.

(٢) انظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي، ٣٨٨١/٧، ٣٨٨٢.

(٣) طه، الآية، (١٢٤).

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٢٣/٥.

والبعد الواقعي لمفهوم (المعيشة الضنك) هنا لا يقتصر على القلق، وضيق الصدر، والحيرة فحسب؛ وإنّما هي لفظة جاءت لتُلْقِي بظلالها على كل ما يتعرض له الإنسان المُعْرِضُ عن ذكرِ الله ﷻ من صور الضيق سواء كان هذا الضيق مرضًا، أو جوعًا، أو ظلمًا، أو تسلطًا لظالم، أو غير ذلك. فاللفظة جاءت لتؤكد على أنّ الإنسان الذي ينسى ذكر الله ﷻ سيتعرض لأبشع صور الضيق في هذه الحياة الدنيا، كما تبشر الآية الكريمة المؤمنين من عباد الله ﷻ بأنّهم في جنات ونعيم في الدنيا والآخرة. يقول تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾(١).

فصاحب الحياة الطيبة راضٍ بقضاء ربه، طائع له، متبع لرسوله ﷺ، يحمل القناعة الكاملة في نفسه، يُسّلم لله فيما كتب عليه من الأقدار، إذا أُعطى شكر، وإذا ابتلي صبر، وإنْ أذنب استغفر. ولعل أروع وصف للمؤمن هو ما جاء في قوله ﷺ: "**عَجَبًا لأمْرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذلِكَ لأَحَدٍ إلا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكانَ خَيْراً لَهُ**"(٢). وعليه، فمَنْ آمن بالله حق الإيمان واتبع هُدَاه فلن يكون في ضَنْكٍ أبدًا، فإنْ نزلت به شِدَّة فلن تُخرِج عَزْمه عن الرضى، واللجوء إلى ربه ﷻ.

ولعل من صور المعيشة الضنك المعاصرة، ما يأتي:

١- الأزمات السياسية والاقتصادية:

لعل ما حدث في الآونة الأخيرة مما يُسّمى بثورةِ الخامسِ والعشرين من يناير هو في الحقيقة نكبة من أكبرِ النكباتِ التي تعرضت لها مِصْرُنا الحبيبة، والتي لا يزال شعبُها يعاني الويلات تلو الويلات من جرائِها. فلقد فشا الغلاء والاستغلال وكان من نتيجة ذلك أنْ عصفت الأزمات السياسية والاقتصادية بمقدرات البلاد، كما انحدرت الأخلاق، وساءت النيات.

٢- الانحدارُ التربوي لأبناء الأمة:

وهو ما كان سببه الأساسي البعد عن طاعةِ اللهِ تعالى، وطاعةِ رسولِه ﷺ، ما أدى إلى تلك المعيشةِ الضنكِ، بما فيها من شقاءٍ، وضياعٍ، وإحباطٍ، ويأسٍ، وتلازمٍ للهمِ، والغمِ، والحزنِ، الأمر الذي ألجأ كثير من شبابِ وفتياتِ الأمة في العصر الحاضر إلى الانتحار؛ للتخلص من الحياة البائسة التي يعيشونها.

٣- تسلط الدول الكبرى على الدول الإسلامية:

إنّ حالة التخلف، والضياع، والتشتت، والتفرق، والمذلة، التي تحياها الأمة الإسلامية لهي أعلى مراتب حياةِ الضنكِ التي ذكرها الله ﷻ في كتابِه؛ ذلك أننا قوم أعزَّنا الله بالإسلام، فإنْ ابتغينا العزَّة في غيره أذلَّنا الله. فلما ابتغت الأمة العزة في

(١) النحل، الآية، (٩٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب(المؤمن أمره كله خير)، برقم، ٢٩٩٩، ٤/ ٢٢٩٥.

غير إسلامها شغلها ما شغل عدوها من أمور الدنيا، والسعي في ركابها، فتقاعسوا بذلك عن أداءِ مهمتِهم الأساسية التي وُجدوا من أجلها، قال تعالى:{**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**}[1]. فلما لم تقمْ الأمة بواجبات الخلافة الملاقاة على عاتقها، سقطت هيبتها، ووُضِعَ قدرها، وضعُفَ سلطانها، فأصبحت فريسة في يَدِ أعدائِها، وعوقبت بالاستبدال.

والناظر المحقق يرى أنّ الله ﷻ قد أنعم على الأمة العربية بنزول القرآن عليها، فأنار بذلك بصائرها، وبعث الحرارة الدينية في نفوس أبنائها، مما جعل سلطانها يمتد إلى سائر مَنْ حولها، فملكت دولة الفرس التي قتلتها البطنة والنعيم، وامتدت إلى بلاد الروم فغلبتها، وحلت محل الدولتين العُظمتين، ثم طال على الأمة الإسلامية الأمد وأسكرها النعيم، وكبلتها الشهوات، فجاءها التتار من المشرق، والفرنجة من المغرب، فصارعوها فصرعوها، فنامت إلى حين، ثم هي الآن تريد أن تأخذ مكانتها[2].

والمتأمل أيضًا في واقع الأمة اليوم، مقارنًا إياه بماضيها المجيد وحاضرها المتدهور، يمكنه أنْ يستشرف مستقبلها. فالأمة لن تنهض ما دامت تأنس باللذات، وتغرق في بحر الشهوات، وترفل في الترف والنعيم. ذلك وأنّ الانغماس في الترف والنعيم يعد من أسس الاستعباد والاسترقاق، كما أنّه يدفع نحو ارتكاب المعاصي والمحرمات، ويبعد عن تحقيق أعلى الدرجات وأرفع المقامات في الدنيا والآخرة.

٤ـ الإصابةُ بالأمراضِ والأوجاعِ التي لم تكن في السابقين:

قضى الله ﷻ على كل من خالف أمره أنْ يعاقبه بشتى أنواع البلاءات، والتي منها: الإصابةُ بالأمراضِ والأوجاعِ التي لم تكن في أسلافهِم، مثل مرض الإيدز، والالتهاب الكبدي الوبائي، وفيروس(سي)، وحديثًا الفيروس الضعيف الذي يُسَمي بـ(كورونا)، هذا الفيروس الذي أصاب عامة الناس بالهلع، والخوف الشديد، والرعب؛ لأنّه ينتقل من فم أو أنف الشخص المصاب بالعدوى، عن طريق جزيئات سائلة صغيرة عند السعال، أو العطس، أو التكلم، أو التنفس، أو عندما يمس الشخص سطحًا مُلَوثًا به. إنّها قمةُ حياةِ الضنكِ أنْ يشعرَ الإنسانُ بالرعبِ في كلِ لحظةٍ من لحظاتِ حياتِه، خوف العدوى التي ستكون سببًا في موته، وهلاكه. والأملُ في الله كبيرٌ، أنْ يهيأ لهذه الأمة أمر رشدٍ، يُعز فيه أهل طاعتِه، ويُذل فيه أهل معصيتِه.

---

(١) آل عمران، الآية، (١١٠).

(٢) انظر: الجواهر في تفسير القرآن الكريم، طنطاوي جوهري، ٦٦/١.

المثال الثالث- لفظتا: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾.

يقول الله تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ**﴾(١). الناظر بداية إلى قولِه تعالى السابق يلاحظ تقديمَ شياطينِ الإنسِ على شياطينِ الجن، ولعل في ذلك إشارة إلى مدى الخطوةِ المتحققةِ من قبلِهم.

وفي اللغة: الشَّطَنُ الحَبْل، وقيل: الحبل الطويل الشديدُ الفَتْل يُسْتَقى به وتُشَدُّ به الخَيْل، والجمع أَشْطان.. والشَّطْنُ مصدر شَطَنَه يَشْطُنُه شَطْنًا. أي: خالفه عن وجْهه ونيته. والشيطانُ حَيَّةٌ لها عُرْفٌ، والشاطِنُ الخبيث. والشَّيْطانُ فَيْعال من شَطَنَ إذا بَعُدَ فيمن جعل النون أَصلاً. وقولهم: الشياطين دليل على ذلك، والشيطان معروف، وكل عات متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان(٢).

وقد حصر كثير من المفسرين الأمر في قوله تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ**﴾(٣). أي: كما جعلنا هؤلاء المشركين أعداءك، يعادونك ويخالفونك، كذلك جعلنا لمن قبلك من الأنبياء، أعداء من شياطين الإنس والجن ، فاصبر على الأذى كما صبروا.

" ووجه الحاجة إلى هذا البيان خفاءُ ما ينجرّ من وسوسة نوع الإنسان، لأنّ الأمم اعتادوا أنْ يُحَذّرهم المصلحون من وسوسةِ الشيطانِ، وربما لا يخطر بالبال أنّ من الوسواس ما هو شر من وسواس الشياطين، وهو وسوسة أهل نوعهم وهو أشد خطرًا وهم بالتعوذ منهم أجدر؛ لأنّهم منهم أقرب وهو عليهم أخطر، وأنّهم في وسائلِ الضرِ أدخل وأقدر"(٤).

يقول الإمام رشيد رضا:" وَالصَّوَابُ مَا رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ، وَقَتَادَةَ، وَالْحَسَنِ، وَهُوَ أَنَّ مِنَ الْإِنْسِ شَيَاطِين، وَمِنَ الْجِنِّ شَيَاطِين، وَرَجَّحَهُ ابْنُ جَرِيرٍ بِحَدِيثِ **أَبِي ذَرٍّ الْمَرْفُوعِ، الَّذِي رَوَاهُ مِنْ عِدَّةِ طُرُقٍ، وَهُوَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ عَقِبَ صَلَاةٍ " يَا أَبَا ذَرٍّ هَلْ تَعَوَّذْتَ بِاللهِ مِنْ شَرِّ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ؟ - قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: وَهَلْ لِلْإِنْسِ مِنْ شَيَاطِينَ ؟ قَالَ: نَعَمْ "** (٥). " وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كُلُّ عَاتٍ مُتَمَرِّدٍ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فَهُوَ شَيْطَانٌ"(٦).

ويقول أيضًا: " وَمَعْنَى هَذَا الْجَعْل أَنَّ سُنَّةَ اللهِ تَعَالَى فِي الْخَلْقِ مَضَتْ بِأَنْ يَكُونَ الشِّرِّيرُ الْمُتَمَرِّدُ الْعَاتِي عَنِ الْحَقِّ وَالْمَعْرُوفِ، أَيِ: الَّذِي لَا يَنْقَادُ لَهُمَا كِبْرًا وَعِنَادًا وَجُمُودًا عَلَى مَا تَعَوَّدَ، يَكُونُ عَدُوًّا لِلدُّعَاةِ إِلَيْهِمَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ

(١) الأنعام، الآية، (١١٢).
(٢) انظر: لسان العرب، مادة(شطن)، ٢٣٧/١٣.
(٣) الأنعام، الآية، (١١٢).
(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣٠/ ٦٣٥.
(٥) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين، باب: (معاوية عن أبي عبد الملك)، برقم، ١٩٧٩، ٣/ ١٥٤.
(٦) تفسير القرآن الحكيم، رشيد رضا، ٨/ ٦.

وَالسَّلَامُ- وَمِنْ وَرِثَتِهِمْ وَنَاشِرِي هِدَايَتِهِمْ. وَهَكَذَا شَأْنُ كُلِّ ضِدَّيْنِ يَدْعُو أَحَدُهُمَا إِلَى خِلَافِ مَا عَلَيْهِ الْآخَرُ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِمَنَافِعِهِم الِاجْتِمَاعِيَّةِ "[1].

ومن دلالات لفظ شطن في اللغة، وفي الاصطلاح القرآني، وُجد أنّه يرجع في الأصل إلى عدة معانٍ هي: الشدة، البعد عن الخير، العتو في الأرض، التمرد على الخلق والحق، العداء والمخالفة لأهل الإيمان.

مما سبق من دلالات لفظ (شياطين الإنس) فإنّه يمكن القول بأنّه يصدق في الواقع المعاصر على كل مِنْ :

١- تجار الأسلحة والمخدرات:

وهذه طائفةٌ جديدةٌ تسعى حثيثًا لزرعِ الفتائلِ، وإيقادِ النيران، وتأجيجِها، والحيلولةِ دون إخمادِها، حفاظًا على مصالحِهم الماديةِ، فهل يمكن الانتباه إلى خطورةِ هذه الطائفةِ، ومحاولة تتبع صفاتهم وخصائصهم في القرآن؛ ليكون لنا وعي بمحاولاتِ الإفسادِ التي يحاولون القيام بها، ووضع خطط مدروسة لإبطال كيدهم؟.

٢- أصحابُ الفضائياتِ الماجنةِ، والصحف الخليعة:

يقول الإمام الشعراوي في حق أصحابِ الفضائياتِ الماجنةِ، والصحفِ الخليعةِ: " فللباطل دعاته، ومروجوه، ومعلنوه، إنّهم يزينون للإنسانِ بعض شهواتهِ التي تصرفه عن منهجِ الله، ونلاحظ أنّ أعداءَ الله، وأعداءَ منهجِ الله يترصدون مواسمَ الإيمان في البشرِ، فإذا ما جاء موسمُ الإيمانِ خاف أعداء الله أنْ يمر الموسم تاركًا هبة في نفوسِ الناس، فيحاولوا أنْ يُكَتِلوا جهودهم حتى يحرموا الناس نفحة الموسم، فإذا ما حَرَمُوا الناس من نفحةِ الموسم فقد حققوا غرضهم في العداوةِ للإسلامِ"[2].

٣- تجارُ الأعضاء البشرية:

إنّ مِن الأطباءِ مَنْ يتخذون البشرية مجرد سلعة يستخدمونها للمنفعة المادية البغيضة، دون أدنى رحمة أو رأفة.

٤- بعض الأطباء المعاصرين:

وجد أنّ بعضَ الأطباءِ يستغلون حاجةَ الناس إلى الشفاء من الأسقام، الأمر الذي يحملهم على الاستغلال، وذلك بطلبِ عملِ الأشعةِ، والتحاليلِ، وشراءِ الأدوية باهظة الثمن. وقد لا يحتاج المريض إلى مثل ذلك كله، لكنه في سبيلِ المنفعةِ والثراءِ السريع يُسْتغل هؤلاء المرضى، فيعيش هؤلاء الأطباء على مص دماء المرضى من الفقراء والمساكين.

---

(١) تفسير القرآن الحكيم، رشيد رضا، ٨/ ٦.

(٢) تفسير الشعراوي، الشعراوي، ٤١٠١/٧، ٤١٠٢.

٥- محبو الشهرةِ والزعامةِ بالباطلِ والمترفون الذين يخافون من فوات ما هم فيه من النعيم:

" فَلَيْسَ كُلُّ مُخَالِفٍ مُبْطِلٍ عَدُوًّا يَسْعَى جَهْدَهُ لِإِيذَاءِ مُخَالِفِهِ الْمُحِقِّ، وَإِنَّمَا يَتَصَدَّى لِذَلِكَ الْعُتَاةُ الْمُسْتَكْبِرُونَ الْمُحِبُّونَ لِلشُّهْرَةِ وَالزَّعَامَةِ بِالْبَاطِلِ، وَالْمُتْرَفُونَ الَّذِينَ يَخَافُونَ عَلَى نَعِيمِهِمْ، فَلَمْ يَكُنْ كُلُّ كَافِرٍ بِالْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - نَاصِبًا نَفْسَهُ لِعَدَاوَتِهِمْ وَإِيذَائِهِمْ وَصَدِّ النَّاسِ عَنْهُمْ، بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الْعُتَاةُ الْمُتَمَرِّدُونَ مِنَ الرُّؤَسَاءِ، وَالْمُتْرَفِينَ، وَالْقُسَاةِ الَّذِينَ ضُرِبَتْ أَنْفُسُهُمْ بِالْعُدْوَانِ وَالْبَغْيِ، وَأُولَئِكَ هُمُ الشَّيَاطِينُ الْمُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ، سَوَاءٌ كَانُوا مِنْ جِنْسِ الْإِنْسِ الظَّاهِرِ أَوْ مِنْ جِنْسِ الْجِنِّ الْخَفِيِّ"[١].

قال الإمام الطبري: وإنما سُمي المتمرّد من كل شيء شيطانًا، لمفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاقَ سائر جنسه وأفعاله، وبُعدِه من الخير"[٢].

وجاء في الكشاف، عن مالك ابن دينار قال:" إنّ شيطانَ الإنسِ أشدّ عليّ منْ شيطانِ الجنّ، لأني إذا تعوّذت باللهِ ذهبَ شيطان الجنّ عني، وشيطان الأنس يجيئني فيجرّني إلى المعاصي عيانًا"[٣].

المبحث الثاني
أبعاد مفهوم الأشخاصِ في القرآنِ الكريمِ

المطلبُ الأول: أبعاد مفهوم الاسمِ أو اللقبِ في القرآنِ.

الناظرُ المدققُ في القرآنِ الكريمِ يجدُ أنّ له منهجًا واضحًا في ذكرهِ للأشخاصِ، فتارةً يصرحُ بذكرِ اسمِ الشخصيةِ أو لقبِها الذي لُقّبَت بِه، وتارةً أخرى لا يصرحُ بالاسم، ويكتفي بذكرِ الكنيةِ أو الأوصافِ الدالةِ عليهِ. ولعلَ في ذكرِ الأسماءِ أو الألقابِ أو الصفاتِ أو الكنى الكثيرَ منْ الأبعادِ، والعبرِ، والعظاتِ التي لا تُعّدُ ولا تُحْصَى؛ ذلك أنّ القرآنَ صالحٌ لكلِ زمانٍ ومكانٍ، فهو يُخاطب كل الأزمنةِ، والأمكنةِ بما فيها منْ أشخاصٍ موجودة، وأحداثٍ مستجدة، قال تعالى: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾[٤]. وقال تعالى أيضًا،﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾[٥].

يقول الإمام الشنقيطي: " قد اشتمل كتاب الله على كل شيء. أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل، إلا وفي القرآن ما يدل عليها. وفيه علم عجائب المخلوقات، وملكوت السماوات والأرض، وما في الأفق الأعلى، وما تحت

(١) تفسير المنار، رشيد رضا، ٦/٨.
(٢) جامع البيان، الطبري، ١/ ١١١.
(٣) الكشاف، الزمخشري، ٢/ ٥٦.
(٤) النحل، الآية، (٨٩).
(٥) الأنعام، الآية، (٣٨).

الثرى، وبدء الخلق، وأسماء مشاهير الرسل والملائكة، وعيون أخبار الأمم السالفة.."[1].

هذا، ولما كانت الدراسةُ التي بينَ أيدينا تتناولُ أبعاد المفاهيم القرآنية في القرآنِ، فإنّ هذا المطلب سيختصُ بدراسةِ أبعاد المفاهيم القرآنية لذكرِ الأشخاصِ التي وردت بالاسمِ أو اللقبِ صراحةً في القرآنِ، وذلك على النحوِ الآتي:

المثال الأول: شخصية: ﴿ذو الْقَرْنَيْنِ﴾.

وردَ ذكرُ اسمِ أو لقبِ (ذو القرنينِ) في القرآنِ، حيث " لم يتجاوز القرآنُ ذكر هذا الرجل بأكثر من لقبِه المشْتَهَر به إلى تعيينِ اسمِه وبلادِه وقومِه، لأنّ ذلك منْ شئونِ أهلِ التاريخِ والقصصِ وليسَ منْ أغراضِ القرآنِ، فكانَ منه الاقتصارُ على ما يفيدُ الأمةَ منْ هذه القصة عبرة حكميةً أو خُلقيةً، فلذلكَ قالَ اللهُ: ﴿**قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِنهُ ذِكرًا**﴾"[2].

والملكُ ذو القرنينِ شخصٌ عاشَ في زمانٍ معينٍ، ومكانٍ معينٍ، وماتَ في أجلٍ معينٍ، وقد ذكره القرآنُ باعتبارِه عبدًا صالحًا، ومَلِكًا عادلًا، حيثُ سجلَ له ثلاثَ رحلاتٍ، إلى المغربِ، والمشرقِ، والوسطِ، يجمعُ بينَ هذه الرحلاتِ كلِها فعلٌ كريمٌ، ومقصدٌ نبيلٌ، هو مواجهة الشرِ، ودعم الخيرِ، وقدَ ذكرَ اللهُ تعالى منْ أفعالِه الخيرةِ، أنّهُ بنى ردمًا يدفعُ بهِ الأذى المتحقق منْ يأجوج ومأجوج.

ويُذْكَرُ عنهُ أنّهُ كان منصورًا، حيثُ كان الخضرُ عليه السلام وزيرًا له، وقائدًا لجيشِه، فكان عنده بمنزلةِ الوزيرِ المشاوَرِ[3]، قال تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ..** إلى آخرِ قولِه تعالى: **وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا**﴾[4].

ويمكنُ اعتبارُ شخصيةِ ذي القرنينِ رمزًا للمَلِكِ العادلِ الصالحِ، المُمَكَّنِ في الأرض، وذلكَ بما أُوتي مِنْ القوةِ والتمكينِ فيها، وقد سخر قوتَه في الدعوةِ إلى اللهِ تعالى وخدمةِ دينه، ومعالجةِ الفسادِ، والعملِ على الإصلاح.

ولعل البعد الواقعي لذكرِ شخصيةِ هذا المَلِكِ الصالحِ في القرآنِ، هو الإشارة البينة الواضحة لكلِ مَنْ وافقه أو خالفه في تَوَجُهِهِ، أو فعلِهِ، أو عملِهِ، ولِما في ذلك مِنْ دوامِ التذكيرِ بكلِ مَنْ كان مخالفًا له في نهْجِهِ وعمله، ضرورةَ أنْ يراجعَ نفسَه، كما أنْ هذا البعد يتسع في العصرِ الحاضرِ، ليُشِيرَ إلى كلٍ مِنْ:

١- الحكام الأقوياء الذين يغترون بأسبابِ القوةِ والقدرةِ التي قد تتوفر لديهم مِنْ حيثُ وجودِ الجيوشِ، والخبرةِ السياسيةِ، والقوةِ الاقتصاديةِ، الأمر الذي قد يحملهم على الطغيانِ والفسادِ والإفسادِ في الأرضِ.

---

(١) أضواء البيان، الشنقيطي، ٢/ ٤٣٣.
(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٦/ ١٨.
(٣) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٣/٣٤٠، ٣٤١، ٣٥٠.
(٤) الكهف، الآيات، (٨٣- ٩٨).

٢- الحكام الذين يستغلون مقدرات وثروات بلادهم في إغناء فئة معينة من الناس، تاركين ضعفاء الناسِ يقاسون ويلات الجوعِ، والحرمانِ، والمرضِ، والفقرِ بما أوتوا من أسبابِ السيطرةِ على خيراتِ البلادِ، الأمر الذي يجعل نفوسهم الضعيفة تميل إلى ظلمِ الناس والبغي عليهم.

٣- الحكام الصالحون الذين يستخدمون قوتهم وقدراتهم العسكرية، والاقتصادية، والإعلامية في مقاومةِ الفسادِ، ونصرةِ الضعفاءِ، وهم غير طامعين في أموالِ الشعوب المستذلة الضعيفة.

٤- البشرية عامة، والأمة الإسلامية خاصة، وذلك بدعوتها إلى أن تُوجِدَ من خلال تربيتها وتوجيهها لأبناءِ الأمةِ مثل هذا النموذج القيمِ الصالح؛ وذلك بغيةَ نشرِ العدلِ والحقِ، ومساعدةِ الآخرين، وردِ العدوانِ عن المستضعفين، وتعميرِ البلادِ، وإغناءِ العبادِ اعتمادًا على المنهجِ الإسلامي القويمِ.

المثال الثاني: شخصية: ﴿فِرْعَوْن﴾.

جرى العرف والعادة والاصطلاح في العصورِ الحديثةِ على إطلاقِ لقب فرعون على الحاكم في مصر القديمة، وذلك جريًا على العادة في إطلاق الألقاب على ملوكِ العالمِ القديمِ، فعلى سبيل المثال يُطْلَق على كل من مَلَكَ دولة الفرس بكسرى، رغم أنّ من تَسّمى بذلك هو ملك من ملوكهم. ثم جرت العادة بعد ذلك على تسمية كل ملك فارسي بهذا اللقب، كما تَسّمى ملوك الروم بقيصر، وملوك الحبشة بالنجاشي.

وعليه، فالسؤال الذي يطرح نفسه وبقوة، هل هذا الاسم أو اللقب الذي تكرر ذكره في القرآن هو فقط ذلك الملك الذي كانت له مع نبي الله موسى عليه السلام مجادلات ومنازلات؟ أم أنّه كان لقبًا لكل حكام مصر القديمة؟.

مما لاشك فيه أنّ لفظ فرعون موسى عليه السلام الذي تكرر ذكره في القرآن يدل دلالة واضحة على شخصٍ كان له دور بارز في قصة نبي الله موسى عليه السلام- بالفعل هو كذلك - لكن هذه السطحية تتنافى مع منهجية القرآن في عرضِ آياتِه وقصصِه. لذلك، كان لذكرِ شخصيةِ فرعون في القرآنِ أبعاد واقعية تدور حولها معانٍ ودلالاتٍ عدة، يمكن تلخيصها فيما يأتي:

١- إنّ استحضارَ النموذجِ الفرعوني بما فيه من صفاتِ الاستعلاءِ والتألهِ أمرٌ ضروري؛ وذلك لفهمِ طبيعةِ شخصيتِه المستعليةِ على قومِه، ومن ثم حُسن التعاملِ مع كلِ منْ كان على شاكلتِه بالكيفيةِ التي تُحّجم الفساد الذي يقومُ به، حيث إنّ منطقَ شخصيةِ فرعون بهذه الصورةِ هو منطقُ المعجب برأيه، وذلك راجع إلى " انحراف الطبائع، وليس منْ أصلِ الفطرة، ولذلك يهرع المستبدّ إلى الشورى عند

المضائق "[1]، وفي غيرِها، قال تعالى: ﴿**مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾[2].

وهذا النموذج – بالطبع - يُخالف منهج الإسلام في تعامله مع الرعية. ويؤكد ذلك حديث ابْن عُمَر، والذي يَقُولُ فيه، **سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، قَالَ: وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ: وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**"[3].

٢- إنّ العيش في ظل التجبر لفترات طويلة قد ينتج عنه آثار نفسية خطيرة، وذلك حين تَحْمِل جماهيرُ الناسِ هذه الفكرة في عمقِ ضميرها، فقد يتحول مخاصمُ المتجبر إلى متجبرٍ حين استقلالِه بأمرٍ من الأمور. وذلك بسببِ مزامنتِه لفتراتٍ في ظلِ هذه الصفةِ المقيتة، ولعل هذا ما يُرشد إليه قولُ الله تعالى حكايةً عن قولِ امرأةِ فرعون: ﴿**وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[4]. أي: من نفسِ فرعون الخبيثةِ وسلطانِه الغاشم، وخصوصًا عمله وعبادة غير الله تعالى، والتعذيب بغير جرم إلى غير ذلك من القبائح[5]. فهي لم تطلب النّجاةَ من فرعونَ فحسب، بل طلبت النّجاةَ من تبعاتِ عملِه أيضًا، وفي ذلك فائدة، وهو أنّ الإنسانَ قد ينجو من الظالمِ، لكنّه قد لا ينجو من القيامِ بالظلمِ، فيصيرُ بذلك ظالمًا يفعلُ ما يفعله الظالمون، ويستبدُ برأيه كما يستبدُ المستبدون بآرائِهم.

٣- إذا كانت شخصيةُ فرعون ترجع في أصلها إلى كونه كان مُسْتَعْبَدًا أسيرًا لشهوةِ التملك والتأله، كانت إحدى أهم أبعاد المفهوم القرآني لذكرِ شخصيته في القرآن هي الدعوة إلى تحريرِ العبدِ المسلمِ منْ أسرِ كلِ مظاهرِ الخضوعِ والاستعبادِ، والتي منْ مظاهرها: الشهوات، والنزوات، والتصورات أو المعتقدات الباطلة، وكذا إزالة العقبات المادية والمعنوية التي تُعِيقه عن الانطلاق، وتعطِّله عن الحركة في طريقه إلى الله تعالى.

ويُؤكد هذا البعد الواقعي لهذا المفهوم، أنّ المطلب الأول والأوحد لنبي الله موسى عليه السلام هو إطلاق بني إسرائيل منْ أسرِ وقهرِ الفرعون إلى عبادةِ الله تعالى وحده، حيث يقول ﷻ على لسان نبيه موسى عليه السلام: ﴿**قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ**

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٥٠/٤.
(٢) غافر، الآية، (٢٩).
(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، باب: (الْجُمُعَةِ فِي الْقُرَى وَالْمُدُنِ)، برقم، ٨٩٣، ٥/٢.
(٤) التحريم، الآية، (١١).
(٥) انظر: روح المعاني، الألوسي، ١٦٣/٢٨، تيسير الكريم، السعدي، ص٨٧٤.

مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[١]. أي: خلهم، وأطلقهم من أسرك وقهرك، ودعهم وعبادة ربهم[٢].

المثال الثالث: شخصية: ﴿ قَارُون﴾.

كان قارون ابن عم موسى وابن خالته، فهو قارون بن يصهر بن قَاهَث بن لاوي بن يعقوب، وموسى بن عمران بن قاهَث، وكان يسمى " المنور"؛ لحُسن صورته. ويقال: أنّه آمن بنبي الله موسى عليه السلام، وكان أحفظ الناس للتوراة، ولكنه نافق كما نافق السامري [٣]، ويقال: أنّه كان عاملًا لفرعون على بني إسرائيل، وكان يبغي عليهم ويظلمهم [٤]، قال تعالى: ﴿**إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ..** ﴾ إلى آخر قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾[٥].

كما يذكر القرآن كنوز قارون فيخبر أنّ مفاتيح الحجرات التي تضم الكنوز، كان يصعب حملها من قِبَل الرجال الأشداء. وقد بغى قارون على قومه بعد أنْ آتاه الله الثراء. ولا يذكر القرآن فيم كان البغي، ليدعه مجهولاً يشمل شتى الصور. فربما بغى عليهم بظلمهم والاستطالة عليهم[٦].

قلت: وقد يكون لغصب أرضهم وأشياءهم. وربما بغى عليهم بحرمانهم حقهم في ذلك المال، حق الفقراء في أموال الأغنياء. وربما بغى عليهم بغير ذلك.

وقد نصحه قومه من العقلاء باتباع المنهج السليم، وهو القصد والاعتدال. قال الإمام ابن عاشور في تفسير بغي واعتداء قارون على قومه: "والاعتداء على الأمة الاستخفاف بحقوقها، وأول ذلك خرق شريعتها"[٧].

كما حذروه من الفرح الذي قد يؤدي به إلى نسيان المنعم ﷻ بهذا المال. ونصحوه بأنْ يعمل من أجل آخرته، وألا يقتصر على إشباع شهواته في الدنيا، مع الاستمتاع بها دون الاضرار بدينه أو آخرته. إضافة إلى تحذيره من عواقب الفساد في الأرض، بالظلم، والبغي، والحسد، والبغضاء، وإنفاق المال في غير مواضعه.

غير أنّ قارون رد عليهم بجملة واحدة تحمل شتى معاني الإنكار للمنعم ﷻ: ﴿**إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي**﴾[٨]. فقد أنساه غروره وأعماه ثراؤه عن رؤية مصدر هذه النعمة والحكمة من وجودها في يده، فلم يستمع قارون لنداء قومه.

---

(١) الأعراف، الآية، (١٠٥).
(٢) انظر: معالم التنزيل، البغوي، ٢٦٢/٣، زاد المسير، ابن الجوزي، ٢٣٧/٣، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٥٦/٧.
(٣) انظر: النكت والعيون، الماوردي، ٤/ ٢٦٤، البحر المديد، ابن عجيبة، ٥/ ٤٣٥.
(٤) انظر: الكشف والبيان، الثعلبي،٧/ ٢٦٠، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣١٠/١٣.
(٥) القصص، الآيتان، (٧٦، ٧٧).
(٦) انظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ٩٨/٤.
(٧) التحرير والتنوير، ابن عاشور،(١٣٩٣هـ)، ١٧٦/٢٠.
(٨) القصص، الآية، (٧٨).

مما سبق يتبين بوضوح كيف أنّ قارونَ كان فتنة للناس في مجتمعه بسبب بغيه عليهم وظلمه لهم. هذا البغي بالثروة قابَله العقلاء بالنصح والمناقشة، حينما قالوا له ناصحين: ﴿**وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾[1]. مطالبين إياه بتوزيعٍ عادلٍ للثروةِ، وهو ما يُسمى بالعدالة الاجتماعية، وذلك بإدالة المال بين الأيدي على اعتبار أنّ الاستئثار به يُعد فسادًا كبيرًا، وظلمًا اجتماعيًا فادحًا، لكنه تمسك بأنانيته، واستكباره، وشحه، قائلاً: ﴿**إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي**﴾[2]. هذا، ولم يكتف قارون بمجرد القول، وإنّما قام بسلوك كاد أنْ يفتتن به كل من حوله، قال تعالى: ﴿**فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ**﴾[3].

وعليه، فإنّ لذكرِ شخصيةِ قارون التي تكرر ورودها في القرآن أبعادًا واقعية واضحة، يمكن أنْ نجدها في الواقع المعاصر في الصور الشبيهة تمامًا أو قريبة الشبه من تلك الشخصية، والتي قد تتمثل فيما يأتي:

- أصحاب رؤوسِ الأموالِ الذين يكنزون الذهب والفضة، ثم لا ينفقونها في أوجه الخير المتعددة، فرحين بما آتاهم الله من فضله، متناسين أنّ ذلك من إحسان الله تعالى عليهم، وليس من عنديات أنفسهم، علمًا بأنّ " المبالغة في الفرح تقتضي شدة الإقبال على ما يُفْرَح به، وهي تستلزم الإعراض عن غيره، فصار النهي عن شدة الفرح رمزًا إلى الإعراضِ عن الجدِ والواجبِ في ذلك"[4]. لذلك نسي أو تناسى أصحابُ رؤوسِ الأموالِ في عصرنا الحاضر واجب الزكاةِ المتعلقة بتلك الأموال التي يكنزونها.
- أصحاب الولاية المالية على الأفراد أو المؤسسات أو الهيئات أو الجهات المعجبون بولايتهم، هذا العجب والبطر الذي قد يحمل بعضهم على عدم إعطاء الحق لأهله، أو وضع الأمور في غير موضعها، فرحًا بما هم عليه من الجاه والتحكم والتسلط.
- السارقون والمختلسون للمال العام، وكذا المتهربون مِنْ سداد المستحقات المالية أفرادًا كانوا أو مؤسسات، هو أيضًا في حكم سرقة المال العام. وكذا السارقون للخدمات مدفوعة الثمن، إذ إنّ الخدمات في الحقيقة مقومة بمال، فمن يسرق الكهرباء، أو المياه، كمن يسرق المال سواء بسواء.
- المتحايلون على صرف ما لا يَسْتحقون، كمن يقوم بتزوير بعض الأوراق للحصول على دعم لا يستحقه هو آكل للسحت، لأنّه يأخذ ما لا حق له فيه، ويستوي مع هؤلاء في الإثم والمعصية من يعينهم على ذلك أو يغض

(١) القصص، الآية، (٧٧).
(٢) القصص، الآية، (٧٨).
(٣) القصص، الآية، (٧٩).
(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٧٨/٢٠.

الطرف عن فاعله، أو يتقاعس عن وضع الأمور في نصابها، أو تحصيل ما أسند إليه تحصيله.

إضافة إلى ما سبق، فإنّه يمكن القول بأنّ مسؤولية حماية المال العام لا تقع على أجهزة الدولة فحسب، بل هي مسؤولية منوطة بكل من تُخّول إليه هذه المهمة. وكذلك كل مواطن وجد تجاوزًا على المال العام، سواء من قبل القائمين عليه، أو من قبل عموم المواطنين، فالواجب عليه أنْ ينكر ذلك ويرفضه بشتى أنواع الرفض والاستهجان، لأنّ السكوت عن هذا التجاوز يُعْطِي فرصة لكل من تسول له نفسه التعدي على المال العام المملوك للجميع.

المطلب الثاني: أبعاد مفهوم الصفةِ أو الكنيةِ في القرآنِ.

المثال الأول: شخصية: ﴿الحَلَّاف المَهِين﴾.

وشخصية الحَلَّاف المَهِين هو المذكور بصفاته في سورة القلم، يقول الله تعالى: ﴿**وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ، هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ، مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ، عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ**﴾ (١).

وفي سورة المدثر، يقول الله تعالى: ﴿**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا، وَبَنِينَ شُهُودًا، وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا، ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ، كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا**﴾ (٢).

المتأمل في الآية السابقة يجد أنّ القرآن يسفه في أول ترتيب نزوله من سورة المدثر هذا – الأرستقراطي المتغطرس- الوليد بن المغيرة، فهو ينعي عليه إعراضه عما جاء به القرآن مِنْ تَذْكِرَه، مصورًا حال إعراضه عن التذكرة بالحمير التي تنفر من الأسود، فكأن هذا الإعراض قد جاء منه بعد أنْ مس الإيمان قلبه، وتأكد لديه أنّ القرآن ليس من قول بشر، غير أنّ زجر أبو جهل له يجعله يعود ليفكر ويقدر معرضًا عما مس قلبه من الإيمان.

وكأنّ لذكرِ قصة الوليد بن المغيرة بعدًا واقعيًا يمتد عبر الزمان البعيد. فورود ذكره هنا وإنْ كان مقصودًا لذاته، إلا أنّ قضيته تمتد لتطال أمثال وأشباه الوليد، وهم كثر في هذا الزمان. وعليه،" فالوليد هو التجسيد الواقعي لعناصر الإلحاد والذي اجتمع فيه منطق الكفر والعناد ودوافعه جميعًا"(٣). وإلاّ فما قيمة هذا الوليد، كفرد من خلق الله تعالى، حتى يحظى بمثل هذا القدر الكبير من الآيات القرآنية بسورتي المدثر والقلم.

ولعل أصل النفور والإعراض الذي لازم الوليد بن المغيرة نابع من التعزز" بالمال، والبنين، والعشيرة، والجاه، والاستعباد لتلك المظاهر، وحرص

(١) القلم، الآيات، (١٠- ١٣).
(٢) المدثر، الآيات، (١١- ١٦).
(٣) تناسق الدرر، السيوطي، ص١٥.

القلوب عليها، والطمع في المزيد منها"[1]. الأمر الذي جعله منجنيًا على قيم القرآن العليا، واصفًا إياه بغير ما هو عليه من العظمة والسمو. معليًا من شأن الباطل، قاصدًا بذلك إبعاد الناس عن معرفةِ الحقِ المبين، سالكًا في تحقيقِ مقصدِه طريق النميمة، والهمز، والكذب، والافتراء، عنادًا منه ومكابرة، وفزعًا وخوفًا من زوال المال والجاه والرئاسة.

ولعل من صور النفور والإعراض المعاصرة المشابهة لإلحاد الوليد بن المغيرة، ما يأتي:

- **العلمانية**[2][3]. هي المؤسسة الحقيقية للإلحاد[4].

أرادت الحركة الصهيونية نشر الإلحادِ في الأرضِ، فنشرت العلمانية لإفساد أممِ الأرضِ بالإلحادِ، والماديةِ المفرطةِ، والانسلاخ من كل الضوابطِ التشريعيةِ والأخلاقية؛ كي تهدمَ هذه الأمم نفسها بنفسها، وعندما يخلو الجو لليهود يستطيعون حكم العالم والتحكم في مقدراته. كما نشر اليهود نظريات ماركس في الاقتصادِ والتفسيرِ المادي للتاريخِ، ونظريات فرويد في علمِ النفسِ، ونظرية دارون في أصل الأنواع، وغير ذلك من النظرياتِ. وكل هذه النظريات من أسسِ الإلحاد في العالم. أما انتشار الحركات الإلحادية بين المسلمين في الوقتِ الحاضر، فقد بدأت بعد سقوط الخلافة الإسلامية.

المثال الثاني: شخصية: ﴿أَصْحَاب السَّبْت﴾[5].

وأصحاب السبت هم اليهود الذين مُسخوا خنازير وقردة؛ لمخالفتهم أمره ﷻ بأنْ قاموا بالصيد في يوم السبت، وقد حرم الله تعالى عليهم الصيد في هذا اليوم. قال تعالى: ﴿**وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي**

---

(١) تناسق الدرر، السيوطي، ص١٦.

(٢) " العلماني نسبة إلى العلم بمعنى العالم، وهو خلاف الديني أو الكهنوتي". انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مادة علم، ٦٢٤/٢. والكهنوت: خدمة أسرار الكنيسة - سريانية معربة - والتاء فيه للمبالغة لا للتأنيث، كتاء ملكوت وجبروت، ودرجاته ثلاث: الشماس، والقسيس، والأسقف، ومراتبه كثيرة منها: القاري، والخوري، والمطران، والبطريرك، والبابا، وفعله: كهَنَ، وتكهّن تكهُّناً فهو كاهن، انظر: جذور العلمانية، ص ١٥١، نقلاً عن قاموس الأسقف جرمانوس فرحات، ١٨٤٩ م في مدينة مرسيليا الفرنسية.

(٣) العلمانية في الاصطلاح: هي دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين، وتعنى في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم، وهى اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم والمذهب العلمي. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، د. مانع بن حماد، ص ٣٦٧.

(٤) الإلحاد في اللغة: من لَحَد يَلْحَدُ، وألحَدَ: مال وعدل. وقيل: لَحَد، مال وجار، وألحَدَ، مارى وجادل. انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده. أما حقيقته في الاصطلاح: الميل عن الاستقامة. " والإلحاد في الآيات مستعار للعدول والانصراف عن دلالة الآيات الكونية على ما دلت عليه. والإلحاد في الآيات القولية مستعار للعدول عن سَماعها، وللطعن في صحتها، وصرف الناس عن سماعها". التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٤/ ٣٠٤.

(٥) النساء، الآية، (٤٧).

السَّبْتِ..﴾[١]. ويتلخص البعد الواقعي لذكر الطائفة التي اجترأت على مخالفة أمر الله ﷻ، في الآتي:

انطباق العقاب على كل من خالف أمر الله ﷻ بصفة عامة، يقول الله تعالى: ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ، فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾[٢] فليس هذا لأمة اليهود فحسب، وإنّما هو أمر عام لكل من خالفَ أمر الله تعالى، بمعنى أنّه ينطبق على أمتنا في العصر الحديث.

وعليه، فقد لا يختلف الأمر إذا قمنا بنقل صورة المخالفة المتمثلة في مخالفةِ أصحاب السبتِ للأمرِ والنهي، إلى الآتي:

- الساكت المتستر على منْ يقوم باختلاس أو سرقة مال الغير، وهو لا يقوم بالإبلاغ عنه، وذلك بعد نصحه.
- الساكت المتستر على منْ يتعامل بالرشوةِ، وهو لا يأمره ولا ينهاه.
- الساكتون عن المتحايلين على الشرعِ الحنيفِ.

يقول د. محمد سيد طنطاوي: " والآية الكريمة صريحة في بيان أنّ الذين أُخذوا بالعذابِ البئيس هم الظالمون المعتدون، وأنّ الذين نجوا هم الناهون عن السوء، أما الفرقة الثالثة التي لامت الناهين عن السوء على وعظهم للمعتدين ، فقد سكت عنها"[٣].

وقد أخبر الله تعالى: " أنّهم أنكروا فعلهم وغضبوا عليهم، وإن لم يواجهوهم بالنهي، فقد واجههم به من أدى الواجب عنهم. فإنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، فلما قام به أولئك سقط عن الباقين فلم يكونوا ظالمين بسكوتهم"[٤].

وعليه، فإنّه يلزم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من باب المعذرة إلى الله ﷻ فعلى الرغم من علم الطائفة التي نهت المخالفين لأمر الله تعالى عدم الاستجابة لدعوتهم؛ إلاَّ أنَّهم أعلنوا وعظهم لهم، بقولهم: لقد وعظناهم: "عذرًا إلى الله تعالى؛ حتى لا نُنْسب إلى تفريط في النهي عن المنكر"[٥].

ولعل التماس المعذرة من الله ﷻ وطلب الأجر منه، هما أساس استمرار الداعي إلى الله تعالى في دعوته، ذلك وأنّ استمراره يبعده عن المحبطات، فلا يستطيع الشيطان أنْ يلبس عليه فيقع في الفتور وضعف الهمة تحت دعوى أنَّه لا فائدة من هداية من يقوم بدعوتهم. فيحمله ذلك على التفاؤل والأمل. يقول تعالى:

---

(١) الأعراف، الآية، (١٦٣).
(٢) الأعراف، الآيتان،(١٦٥، ١٦٦).
(٣) التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي، ٢٣٠/٨.
(٤) أضواء البيان، الشنقيطي، ٤/ ٢٢٢.
(٥) البحر المديد، ابن عجيبة، ٥٦٣/٢.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[1].

المثال الثالث: شخصية: (أبو لَهَب).

أبو لهب: " هو أحد أعمام رسول الله ﷺ واسمه: عبد العُزّى بن عبد المطلب، وكنيته أبو عُتبة. وإنّما سمي " أبا لهب" لإشراق وجهه، وكان كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغضة له، والازدراء به، والتنقص له ولدينه"[2].

وفي الحديثِ، **عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، ﷺما قَالَ: " لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي، يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ لِبُطُونِ قُرَيْشٍ، حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ، قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا، فَنَزَلَتْ، ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾"**[3].

والظاهر من الحديث، أنّ أبا لهب كان يوظّف الإرادة والعزيمة التي منحهما الله له في الشر، حيث كان يُلْقِي الأشواك في طريقِ الرسول ﷺ كما أضرمَ النار عليه وهو في طريقِهﷺ إلى الكعبة، لذلك كان جزاؤُه من جنسِ عملِه، **﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾**، وهذه إشارة لطيفة من القرآن، حيث يذكر هذا المكابر بما سيلاقيه من عذاب **﴿أَبِي لَهَبٍ﴾** أي: أبي النار. والمعنى، أنه" يدخل نارًا يصطلي بحَرِهَا ولفحها. **﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾**، أي: توقد واشتعال"[4].

" والحكمة ما خص الله أبا لهب بهذه السورة من الكتاب العزيز ولو كان ذكره لمجرد عداوته لرسول الله ﷺ لذكر غيره كذلك من خصوم النبي ﷺ وأعدائه الألداء، أمثال عقبة بن أبي معيط، والعاص بن وائل، وغيرهم من أكابر الأعداء وأئمة الكفر والضلال، ممن كنى عنهم الله سبحانه أحيانًا بأوصافهم، ولم يذكرهم بأسمائهم. وإنّما خص أبا لهب بالذكر؛ لأنّه قد اشتهر بالتكذيب والعداوة، وتعقب النبي ﷺ في حركاته وسكناته، ليحبط مساعيه، ويصد الناس عن الإقبال على دعوته ورسالة ربه، حتى أصبح خطرًا على الإسلام "[5].

يؤكد ذلك، أنّ أبا لهب قد وقف في وجه الدعوةِ إلى اللهِ تعالى محاولًا الصد عنها، فحاك لذلك المكائد والمؤامرات فترة حياته، فخاب سعيه، وباءت محاولاته

---

(١) الأعراف، الآية، (١٦٤).
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥١٤/٨.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ أَلِنْ جَانِبَكَ، برقم، ٤٧٧٠، ١١١/٦.
(٤) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ٦٢٦/٥.
(٥) الإمام محمد عبده سلسلة الأعمال الكاملة، د. محمد عمارة، ٥٥٥/٢.

اليائسة كلها بالفشل، فما أغنى عنه ماله الذي آل إليه من ثروةِ بني أمية، ولا ثراء زوجته أم جميل ولا ما اكتسبه هو، وما كان لأولاده الذين يفخر بهم يدٌ في نجاته.

وفي ذكر القرآن لشخصية أبي لهب، وما توعده به من نوع العذاب بعدًا واقعيًا، يمكن إيجازه في أنّ كل ما تضمنه الوعيد من النكاية، وما جاء به من سوء العاقبة، يلاقي كل صاد للناس عن كتاب الله ﷻ، وعن فهم ما جاء فيه من عبر وأحكام[١]. وهذا الكلام يصدق على:

- أولئك الذين يقولون – على سبيل التعجيز والتعنت - إنّك مهما بلغت من العلم لا يمكنك أنْ تعرف مراد الله من كتابه، ولا من كلام نبيه شيئًا من الأحكام والعقائد..[٢].
- أولئك الذين يقولون: لا يجوز أنْ تستند في تقرير حكم من الأحكام إلى آيات الكتاب ولا إلى صحيح السنة، وإنّما الواجب أنْ ترجع إلى قول فلان ورأي فلان، وإنْ وصلت من معرفة لغة الكتاب والسنة إلى أعلى غاية[٣].
- أولئك الذين يصدون الناس عن توحيد الله تعالى بأي صورة من الصور، مادية كانت أو معنوية.

المبحث الثالث

أبعاد مفهوم الرمزِ في القرآن الكريم

المطلب الأول: أبعاد مفهوم الرمز المفرد في القرآن.

يشكلُ الرمزُ ظاهرةً اجتماعيةً ثقافية متناهيةَ التعقيد، بكلِ المقاييس، وبالتالي فإنّ دراسةَ حدودِ الظاهرةِ الرمزيةِ، وتحديد أبعادها، يشكلُ حاجةً فكرية وثقافية ملحة ومهمة، فدراستها غاية في الإلحاحِ والأهميةِ.

ومن منطلقِ هذه الحاجةِ العلمية، وتأسيسًا على هذا الدورِ الكبيرِ للظاهرةِ الرمزيةِ في الحياةِ الحضاريةِ الإنسانية، فإنّ المبحث الحالي يضع نفسه في دائرةِ التجاوبِ مع مقتضياتِ الكشفِ عن حدودِ الرمز بأبعادِه، ودلالاتِه، وتوظيفاتِه في القرآنِ الكريمِ.

والرَّمْزُ لغة: "الاشارة، والايماء بالشفتين والحاجب"[٤]. كما أنّه تصويت خفي باللسان، كالهَمْس، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهومٍ باللفظ من غيرِ إبانةٍ بصوت، إنّما هو إشارة بالشفتين. وقيل: الرَّمْزُ إشارة وإيماء بالعينين، والحاجبين، والشفتين، والفم. وقيل: هو كل ما أَشرت إليه مما يُبانُ بلفظ، بأَي شيءٍ

(١) انظر: الإمام محمد عبده سلسلة الأعمال الكاملة، د. محمد عمارة ، ٥٥٥/٢.
(٢) انظر: المرجع نفسه، ٥٥٥/٢.
(٣) انظر: المرجع نفسه، ٥٥٥/٢، ٥٥٦.
(٤) الصحاح، الجوهري، مادة: (رمز)، ٥/ ٢٠.

أَشرت إليه بيد أَو بعين، ورَمَزَ يَرْمُزُ ويَرْمِزُ رَمْزًا. وفي التنزيل العزيز في قصة زكريا عليه السلام أَلا تكلِّمَ الناسَ ثلاثةَ أَيام إلا رَمْزًا [1].

من التعريفين السابقين يمكن القول بأنّ الرمز في اللغة يعني أمران، هما:

- الإبانة عن طريق الإشارة الجسدية الحسية، يراد بها معنى معين، ودلالة مخصوصة.
- التصويت الخفي باللسان أو الشفتين يراد به معان خفية يفهمها السامع.

ويميز أندريه لالاند، في قاموسه النقدي للفلسفة، بين ثلاثة أبعادٍ لمفهومِ الرمز.

الأول: والذي يعبر عن خاصية التماثل بين الأشياء، كأن يدل الرمز على شيء آخر يماثله في الجوهر والدلالة والشكل (الشيء المنشطر إلى نصفين على سبيل المثال).

الثاني: وفيه يأخذ الرمز صورة مركبة تنطوي على نظام متعدد يشتمل على عدة عناصر وحدود، بحيث يمثل كل عنصر وكل حد من حدود هذا النظام الرمزي عنصرًا وجانبًا من جوانب نظام آخر(مثل الرايات التي تتعدد ألوانها ورموزها).

الثالث: وفيه يكون للرمز صيغة مجردة، وهو ما يعبر فيه عن صيغه العلمية، والرياضية، والمنطقية التي تتواتر في مجال العلوم، والفنون الرياضية المجردة[2].

وفي هذا السياقِ يمكن ملاحظة أنّ الرمزَ يأخذُ ثلاث صيغ متباينة نسبيًا، حيث يرمزُ في الحالةِ الأولى إلى مبدأ التجانسِ بين الأشياءِ المنقسمةِ من أصلٍ واحدٍ(تجانس الأطراف وانشطارات الأشياء)، وفي الحالةِ الثانيةِ يأخذ صورةً تجسيدية(تجسيد المعاني في صور ودلالات ومعاني مركبة)، وفي الحالةِ الثالثةِ يأخذ صورة تجريدية (الرموز الرياضية والعلمية في الكيمياء والفيزياء). وقد تأصلت هذه الدلالات الثلاثية لمفهومِ الرمزِ في مختلف مظاهر الحياة الطبيعية، والجمالية، والاجتماعية، والنفسية.

ولعل ذكر الأبعاد الثلاثة لمفهومِ الرمز التي تمت الاشارة إليها تدل دلالةً واضحةً على الطاقةِ الهائلةِ والمتدثرةِ للرمز بصفةٍ عامةٍ، وفي القرآن الكريم بصفةٍ خاصةٍ، وهو ما ينسحب على جميعِ صورِ الحياةِ برمتِها. وهذا ما تُؤكده الدراسات الجارية في مجال التحليل النفسي حيث يُنْظر إلى الرؤى ويتم تحليلها من خلال دلالاتها الرمزية. قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ**

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة: (رمز)، ٣٥٦/٥.
(٢) انظر: موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، خليل أحمد خليل، ٣/٢.

عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾[(١)].

فقوله: "﴿**إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ**﴾. أي: إنْ كنتم تعرفون تفسيرها، وتأويلها معرفة سليمة، وتعلمون تعبيرها علمًا مستمرًا. و﴿**تَعْبُرُونَ**﴾ من العبر، وهو اجتياز الطريق أو النهر من جهة إلى أخرى، وسمى المفسر للرؤيا عابرًا ، لأنّه يتأمل فيها وينتقل من كل طرف فيها إلى الطرف الآخر، كما ينتقل عابر النهر أو الطريق من جهة إلى أخرى" [(٢)].

وباختصار، فإنّه يمكن القول بأنّ حقل الرمز يتصف بطابع الشمول والعموم، فهو ظاهرة إنسانية ضاربة الجذور، ويندر أنْ يجد الإنسانُ سلوكًا إنسانيًا أو فعلًا اجتماعيًا يَنْأى عن حقل الممارسة الرمزية. فالإعلانات الموجهة، والخطاب السياسي المحتم، والخطاب الديني المبرهن، والخطاب الأيديولوجي كل ذلك قائم على معادلة الحضور الرمزي من خلال ارتداء حلته البهية.

ووفقا لهذا التصور، فإنّ الرمزَ يأخذ صورته بوصفِه علاقة بين دالٍ ومدلولٍ أو ما بين العلامةِ والرمزِ، فالعلامة تمثلُ الموضوع وهي الحضور المجسد، والرمز يتمثل في دلالةِ الإشارةِ ومعناها، وهنا يجبُ علينا ألا يتم الخلط بين العلامةِ والرمزِ، فالعلامةُ ليست رمزًا بذاته، بل يكمن الرمز في المعنى والدلالةِ الكامنةِ في العلامةِ، وهذا يعني أنّ العلامةَ تجسد الكيان المادي للرمزِ، بينما يأخذ الرمز صورةً معنويةً أو فكرةً ذات مغزى توجد في عقلِ الإنسان: فالكلمةُ بوصفها علامة ليست رمزًا بذاتها بل الفكرة التي تتضمنها تمثل الرمز.

وتقصد الدراسة الحالية الحالة الثانية، والتي تشير إلى أنّ الرمز هو من يتم تجسيده من خلال العلامة، وهي الكلمة، أو اللفظ، أو العبارة، في صورةِ أبعادٍ واقعيةٍ، أو دلالات خفية، يدركها السامع بفهمه الصحيح للعلامة الدالة على الرمز. ولعل من الأمثلة على ذلك ما يأتي:

المثال الأول: لفظة: ﴿الْكَهْف﴾.

ترجع تسمية السورة (بالكهف) إلى ما فيها من ذكر قصة الفتية الذين آووا إلى الكهف، وهم فتية تعرَّضوا للاضطهاد بسبب إيمانهم بالله ﷻ، وتركهم لعبادة غيره ﷻ، حيث هربوا مختبئين في كهف، وقد ناموا فيه مدة طويلة تقدر بعشرات السنين، وعندما استيقظوا بأمر الله أرسلوا أحدهم إلى القرية ليحضر لهم الطعام، فلاحظ أنَّ معالمَ القريةِ قد تغيَّرت واختلف الناس، كما أنَّ النقود التي يملكها لم يعدْ أحد يستخدمها من مئاتِ السنين؛ لذلك " تنكرت له البلاد واستنكره من يراه من أهلِها واستغربوا شكله وصفته ودراهمه. فيقال إنّهم حملوه إلى متوليهم وخافوا منْ أمره أنْ يكون جاسوسًا أو تكون له صولة يخشون من مضرتها. فيقال إنّه هرب

(١) يوسف، الآية، (٤٦).
(٢) التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي، ٩٠/١٢.

منهم. ويقال: بل أخبرهم خبره ومن معه وما كان من أمرهم فانطلقوا معه ليريهم مكانهم، فلما قربوا من الكهف دخل إلى إخوانه فأخبرهم حقيقة أمرهم ومقدار ما رقدوا فعلموا أنّ هذا أمر قدره الله ﷻ. فيقال: إنّهم استمروا راقدين. ويقال: بل ماتوا بعد ذلك" [1].

يقول الله تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا** ...إلى قوله تعالى: ﴿**فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا**﴾[2].

مما سبق يمكن القول بأنّ لفظة الكهف تحمل في أطوائها الكثير من الدلالاتِ الرمزيةِ والأبعادِ الواقعيةِ التي تُؤكد إعجاز القرآن. وبالتالي صلاحه لكل زمان ومكان، حيث إنّ ما ورد من رمزية ودلالات في لفظ الكهف يتفق مع مضمون ما جاء فيها من قصص وأحداث.

فالكهف هو مكان بعيد موحش، لم يُعّد في الأصل للسكنى، وهو موجود داخل جبل، ذي فضاء واسع، مترامي الأطراف. ولعل الدلالات الرمزية من كل ذلك تشير إلى الوحدة، والعزلة، والغربة، والوعورة، والصعوبة، والحرمان، والاختلاف، والمفارقة، والسكون، والهدوء، والتفرد، والتميز.

ومن الأبعادِ الرمزيةِ التي تنطبقُ مع رمزيةِ دلالاتِ لفظةِ الكهفِ هو أنّ هؤلاء الفتية كانوا مختلفين ومفارقين لما يعتنقه أهل زمانهم، فالفتية كانوا على التوحيد، وأقوامهم كانوا على الشرك، وهم بذلك أصبحوا في موقفٍ صعبٍ من ناحيةِ أنّ قومهم لن يتركوهم وما يعتقدون، بل سيطهضونهم لسلوكهم طريق الإيمان بالله ﷻ، لذلك اتصف طريقهم بالوحدة، والعزلة، والغربة[3]، والوعورة، والصعوبة، والحرمان، والتفرد، والتميز.

إلاّ أنّ هذه الأبعاد قد تم انزياحها بالنسبة لفتية الكهف، فبعد أنْ كان الكهف يتصف بالوحشة، والوحدة، إلى غير ذلك مما قد تم ذكره من الصفات، فقدت تحولت في حقهم إلى أُنْسٍ بدوام ذكرهم لله ﷻ، وطول فكرهم، وتدبرهم في ملكوته، وهَجرهم للعوائد، وقطعهم للعوائق والعلائق، وصدق توجههم ولجوئهم إليه ﷻ، وإخلاص محبتهم له، وإحسان عملهم. ولم لا، فالواقع المشاهد يؤكد على أنّ " من أطاع الله انقلبت المخاوف في حقه أمانًا.. ومن خاف الله أمنه من كلّ شيء"[4].

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ١٣/ ٣٨٣.

(٢) الكهف، الآيات، (٩-٢٢).

(٣) وهو ما يشير إليه قول النبيﷺ في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ ". والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، باب:(بَيَانِ أَنَّ الإِسْلاَمَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا وَأَنَّهُ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ)، برقم، ٣٨٩، ١/ ٩٠.

(٤) الجواب الكافي، ابن قيم، ص١٨٢.

ولعل البعد الواقعي للقصة في الواقع المعاصر، هو ما يمكن التعبير عنه بالتساؤل التالي: هل يمكن أنْ يوصف المسلمون اليوم بتلك الرمزيةِ والأبعادِ التي وُجِدت في قصة هؤلاء الفتية، من الوحشة، والوحدة، والعزلة، والغربة، وغير ذلك، أو بتلك الأبعادِ التي عاشها وعايشها هؤلاء الفتية بعد انزياحها بإيوائهم إلى داخل الكهف، وتبديل حالهم من الوحشة إلى الأنس به ﷻ، وتسهيل أمرهم بما يرتفقون وينتفعون به؟.

المثال الثاني: لفظة: ﴿البَقَرَة﴾.

سورة البقرة هي أطول السور القرآنية في الكتاب العزيز، وقد حوت هذه السورة العظيمة جملة من التشريعات والأحكام، كما تحدثت عن جملة غير قليلة من أحوال وعوائد بني إسرائيل. كل ذلك جاء تحت مسمى سورة(البقرة)، ولعل في هذه التسمية سرًا عجيبًا، وبُعْدًا رمزيًا يمكن الوصول إليه، والتحقق منه، بل ويمكن تطبيقه على أي واقع مشابه له. قال تعالى على لسان نبيه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً**﴾[١].

وقد أعطى الله ﷻ الأمر بذبح البقرة أولًا " ليختبر قوة إيمان بني إسرائيل ومدى قيامهم بتنفيذ التكليف دون تلكؤ أو تمهل. ولكنهم بدلًا من أنْ يفعلوا ذلك أخذوا في المساومة والتباطؤ"[٢].

كما أظهر بنو إسرائيل الغباء والجهل في سؤالهم لنبيهم. فهم يريدون أنْ يفعلوا كل ما في وسعهم لإبطال التكليف الإلهي.. لذلك أخذوا يَسِمُون نبيهم موسى عليه السلام بأنّه من المستهزئين بهم. وكأنّهم استنكروا أنْ يجيء التكليف بذبح بقرة دون تحديد ماهيتها، أو أنّهم يرون المسألة صعبة على الله ﷻ فلا يمكن حلها بمجرد ذبح أي بقرة، وهذا الاستنكار جعل نبي الله موسى عليه السلام يُذْهل من كلامهم، إذ كيف لنبي مرسل أنْ يهزأ بتكليف كلفه به ربه ﷻ!.

وهنا يوقن نبي الله موسى عليه السلام أنّ هؤلاء القوم قوم جاهلون بربهم ﷻ، وبمقام نبيهم، وبرسالة الله ﷻ المرسلَة، كما يتأكد لديه عليه السلام أنّهم يريدون أنْ يأخذوا كل شيء بمقاييسهم العقلية المادية القاصرة، وليس بالمقاييس الإلهية. وقد ظهر ذلك من خلال تنطعهم وتشددهم في غير المحل. الأمر الذي جعل نبي الله موسى عليه السلام يتجه إلى السماء كي يستعيذ بالله ﷻ منهم، ومن جهلهم.

ولعل البعد الرمزي في لفظة (البقرة) وما دار حولها من مناقشات وأحداث، يرمز إلى مجموعة من الصفات، والتي منها: الجهل، والتنطع، والتشدد، والتلكؤ، والتباطؤ، والتمهل، والمساومة، والجدل السفيه في استقبال أوامر الله ﷻ.

كما يمكن أنْ يرمز البعد الواقعي لسيناريو قصة البقرة في الواقع المعاصر إلى جملة التيارات التي تَدّعي نوعًا من الالتزام الشكلي بدين الله ﷻ، رغم ما تحمله

(١) البقرة، الآية، (٦٧).
(٢) تفسير الشعراوي، الشعراوي، ٣٩٠/١.

من جهل، وتنطع، وتشدد، وتلكؤ، وجدل سفيه في التعامل مع نصوص الوحي، من قرآن وسنة. فقد امتثلت مثل هذه الحركات الهدي الظاهري من لباس، ولحية، وحجاب، ونقاب دون تلمس وترسم القواعد التي بُني عليها المنهج الإسلامي؛ لذا نراها بسبب بُعدها عن هدي ربها؛ ترسخُ في براثن الجهل والتخلف والتشرذم، وقد كبدت مثل هذه التيارات البلاد الإسلامية التي وجدت فيها خسائر في الأموال والأرواح، بل وأظهرت الإسلام في صورة الفاشل والعاجز عن مسايرة ومجاراة الأحداث.

المثال الثالث: لفظة: ﴿وَرَاوَدَتْهُ﴾.

تعرض نبي الله يوسف عليه السلام لمراودةِ امرأة العزيز، حيث راودته عن نفسه، وهي فتنة عظيمة تكمن في تلك الشهوة العارمة التي تيسرت لها سبل التصريف، فالمرأة نفسها هي الداعية، ونبي الله يوسف عليه السلام في بيتها، وقد توفرت بذلك جميع الدواعي، وانتفت بذلك كل الموانع.

وهذا بالطبع موقف عصيب يستدعي أنْ يُخّلد القرآن ذكره، حيث الدلالة الرمزية التي تشير إلى التزيين، والإغراء، من جانب امرأة العزيز. هذا التزيين، والإغراء الذي نراه اليوم في كثير من نساءِ هذا الزمان اللاتي يقمن بكشف رؤوسهن، وتقصير ثيابهن، وإبراز مفاتنهن.

كما ترمز إلى العفة، والطهارة، والتحرز عن الفواحش، من جانب نبي الله يوسف عليه السلام، وإلى كل شابٍ متمسكٍ بأخلاقِ دينه.

ورغم أنّ الإسلامَ هو دينُ السترِ والصيانةِ والعفافِ، وقد أمر بسترِ جسدِ المرأةِ، وأمر بالحجابِ والثيابِ السابغةِ التي لا تُظْهر جسدها، ولا تفصل أجزاءَه؛ حفظًا لها، وصيانةً للمجتمع كلِه من آثارِ التبرجِ والسفورِ الخطيرةِ المهلكةِ للمجتمعاتِ. **ففي الحديثِ، عَنْ عَائِشَةَ- رضي الله عنها- قَالَتْ: " إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام لَيُصَلِّي الصُّبْحَ فَيَنْصَرِفُ النِّسَاءُ مُتَلَفِّعَاتٍ بِمُرُوطِهِنَّ مَا يُعْرَفْنَ مِنْ الْغَلَسِ"**(١).

والحديث يُخْبِرُ عن الوضع الذي كان عليه النساء حال خروجهن لصلاة الفجر، وهن يشهدن الصلاة مع النبي ﷺ، ثم ينصرفن إلى بيوتهن مُتَلَفِّعَاتٍ بِمُرُوطِهِنَّ، أي: مغطيات رؤوسهن وأجسادهن بالملاحف، فلا يعرفن من سترهن، وهو ما أمر الله ﷻ به المرأة من الحجاب.

غير أنّ بعضًا من فتيات الأمة الإسلامية - في الواقع الحاضر- قد خالفن ما كان عليه النساء في الجيلِ الأولِ، وهو ما يُؤكده حديث السيدة عائشة- رضي الله عنها- السابق. لذا فإنّ المفهوم القرآني للفظ ﴿**وَرَاوَدَتْهُ**﴾ يمكن أنْ ينسحب على واقع

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب(خُرُوجِ النِّسَاءِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِاللَّيْلِ وَالْغَلَسِ) برقم،٨٦٧، ١٧٣/١.

بعض فتيات اليوم في زماننا هذا، حيث إنّ فعلهن يدعو إلى الإغراء والتزيين، والدعوة إلى تحريك الشهوات والغرائز من جانبهن.

المطلب الثاني: أبعاد مفهوم الرمز المركب في القرآن.

المثال الأول: اللفظ المركب في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

تذكر معظم التَّفاسير النقلية والعقلية أنّ المقصود بالْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ والضَّالِّينَ هم اليهود والنَّصارى(١)، ولا اعتراضَ للدراسة على ذلك، لكن يمكن للدراسة أنْ تتساءل: لماذا اليهود والنَّصارى؟ وهل المقصود بذلك هو ذواتهم، أم الخصائص التي تعلقت بتلك الذوات؟ فإذا كانت الذوات لزم أنْ يكون ذلك لوجود صفات أوجبت الغضب عليهم من اللهﷻ، وكذا وسمهم بصفة الضلال.

وإذا كان ذلك كذلك، وكان القرآن بمنهجه العام، شاملًا وصالحًا لكل زمان ومكان، وذلك في عرضه للآيات، والقصص، والعبر، والمواعظ. فإذا تقرر ذلك يقينًا، كان لذكر قوله تعالى: ﴿**غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**﴾(٢). في القرآن أبعاد واقعية تدور حولها معان ودلالات عدة، إضافة إلى مقصدها الذي نزلت فيه.

ويمكن تلخيص ذلك في أنّ قوله تعالى: ﴿**الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ**﴾ ترمز إلى كل مَنْ عرف الحق وقام برفضة تعنتًا، وعنادًا. كما يرمز قوله: ﴿**الضَّالِّينَ**﴾ باعتباره أشهر معاني الضلال في القرآن إلى كل مَنْ ضل طريق الحق – جهلًا - الذي جاءت به الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام- (٣).

" واليهود والنصارى وإنْ كانوا ضالين جميعًا، مغضوبًا عليهم جميعًا، فإنّ الغضب إنمّا خُص به اليهود وإنْ شاركهم النصارى فيه؛ لأنّهم يعرفون الحق وينكرونه، ويأتون الباطل عمدًا فكان الغضب أخص صفاتهم. والنصارى جهلة لا يعرفون الحق فكان الضلال أخص صفاتهم"(٤).

يقول الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿**غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**﴾(٥). " فإنْ قال لنا قائل: فمنْ هؤلاء المغضوب عليهم، الذين أمرنا الله جل ثناؤه بمسألته أنْ لا يجعلنا منهم؟ قيل: هم الذين وصفهم الله جَلّ ثناؤه في تنزيله، فقال: ﴿**قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**﴾

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري، ١٨٥/١، ١٩٢، الكشف والبيان، الثعلبي، ١/ ١٢٤، النكت والعيون، الماوردي،١/ ٦٠، المحرر الوجيز ، ابن عطية،١/ ٦٩، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي،١/ ١٤٩، التفسير القيم، ابن القيم، ص١١، الدر المنثور، السيوطي، ١/ ٤٢، أضواء البيان ، الشنقيطي، ٩/١، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، ١/ ١٩، أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ١٦/١، التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي، ٩/١.

(٢) الفاتحة، الآية، (٧).

(٣) أضواء البيان، الشنقيطي، ٢٠٣/٢.

(٤) المرجع نفسه، ٩/١.

(٥) الفاتحة، الآية، (٧).

فأعلمنا جلّ ذكره ثَمَّة ما أحَلَّ بهم من عقوبته بمعصيتهم إياه. ثم علمنا منّةً منه علينا، وجه السبيل إلى النجاة من أنْ يَحِلَّ بنا مثل الذي حَلّ بهم من المَثُلات، ورأفة منه بنا"[١].

والإمام الطبري هنا يوجه عناية الأمة الإسلامية إلى الحذر منْ الوقوع في مثل ما وقعت فيه الأمم منْ قبل، وذلك خشية الوقوع في الغضب الإلهي والضلال نتيجة الاتصاف بما اتصفت به الأمم السابقة، وهو ما يُفهم من قوله: " منْ أن يَحِلَّ بنا مثل الذي حَلّ بهم من المَثُلات ".

كما يحذر الإمام ابن القيم الأمة من سلوك طريق المغضوب عليهم والضالين، خشية أنْ يحل بها ما حل بغيرها من العقاب الإلهي، وذلك بقوله: " كان السلف يقولون منْ فسد مِن علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى. وهذا كما قالوا: فإنّ مَنْ فسد من العلماء فاستعمل أخلاق اليهود من تحريف الكلم عن مواضعه وكتمان ما أنزل الله .. والتحريف والتحيل على المحارم وتلبيس الحق بالباطل. فهذا شبهه باليهود ظاهر. وأما منْ فسد من العباد فعبد الله بمقتضى هواه لا بما بعث به رسوله وغلا في الشيوخ فأنزلهم منزلة الربوبية، وجاوز ذلك إلى نوع من الحلول أو الاتحاد فشبهه بالنصارى ظاهر، فعلى المسلم أنْ يبعد من هذين الشبهين"[٢].

ويزيد الإمام ابن عاشور الأمر تأكيدًا، وهو يخوف الأمة ويرهبها من سلوك طريق الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ، قائلًا: " وقوله : ﴿**غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**﴾ يشمل سائر قصص الأمم الضالة ويشير إلى تفاصيل ضلالاتهم المحكية عنهم في القرآن، فلا جرم يحصل من معاني الفاتحة تصريحًا وتضمنًا عِلْمٌ إجمالي بما حواه القرآن من الأغراض. وذلك يدعو نفس قارئها إلى تطلب التفصيل على حسب التمكن والقابلية. ولأجل هذا فرضتْ قراءة الفاتحة في كل ركعة من الصلاة حرصًا على التذكر لما في مطاويها"[٣].

هذا، وإنْ كانت الآية بما فيها من صفات تشمل سائر قصص الأمم الضالة، فهي بدورها تنسحب إذًا على كل أمة متى توفرت فيها هذه الصفات أو الخلال التي توفرت في الطائفتين السابقتين، من اليهود والنصارى. حتى وإنْ كانت هذه الصفات قد وُجدت بين أبناء الأمة الإسلامية نفسها في الواقع المعاصر.

منْ هنا يمكن القول بأنّ الاستقامة التي ينشدها المسلمون بقولهم كل يوم في صلاتهم: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾[٤]. لا تنال بمجرد التبرؤ من الغضب الواقع على اليهود أو الضلال المنغمس فيه النصارى؛ وإنّما تحصل بالمراقبة الدائمة

(١) جامع البيان، الطبري، ١٨٥/١.
(٢) التفسير القيم، ابن القيم، ص١١٩.
(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٣٤/١.
(٤) الفاتحة، الآية، (٦).

والحذر من الاتصاف بأوصافهم، فكم في المسلمين اليوم من يلعن اليهود وهو متنكب لطريق الحق بعد أنْ عرفه مثل ما حدث لبني إسرائيل تمامًا، وكم منهم منْ هو يُدين النصارى في ضلالهم، واجتهاده لا يقوده إلا إلى نوعٍ من أنواع الضلالات التي وقعوا فيها، مع الاختلاف في المسميات، فالنصارى قدْ عبدو المسيح. ولعل بعض المسلمين قد خرم توحيده بعبادة غيره من البشر، خوفًا على منصبه ورتبته، أو ابتدع في العبادة وزيف في الأخلاق، فاستحق مثلهم الوصف بالضلال.

المثال الثاني: اللفظ المركب في قوله تعالى: ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾.

يصوّر القرآن الكريم حال من ذاق الهدى وعاش في السعادة وقتًا، ثم ما لبث أنْ عاد إلى الضلالة بالكلب، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ**﴾[1]. إنّه مشهد عجيب لإنسان ذي عقل يفكر به، يؤتيه الله آياته، ويخلع عليه منْ كرمه وفضله، وينعم عليه منْ علمه، ويعطيه الفرصة كاملة غير منقوصة للوصول إلى رضوانهﷻ، والاتصال به والارتفاع إلى حضرته، ثم هو ينسلخ منْ هذا كلِه انسلاخًا. انسلاخ الأديم اللاصق بكيانه المتلبّس بلحمه، بمشقة، وجهد، وعنف.

فكيف لهذا الإنسان الذي منحه الله ﷻ العقل يتجرد من غطائه الواقي، ودرعه الحامي، منحرفًا عن الهدى، متبعًا الهوى، مترديًا من الأفق الأعلى ليلتصق بالطين الوضيع، حتى يصبح غرضًا وهدفًا للشيطان، لا يفيده واق، ولا يحميه حام، فيكون في صورته بعد انسلاخه كالكلب إنْ طُورد يلهث، وإنْ لم يُطارد يلهث، لاصقًا بالأرض، ملوثًا بالطين.

و" هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تَعَالَى لِلْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِ اللهِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ عَلَى مَا أَيَّدَهَا بِهِ مِنَ الْآيَاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْكَوْنِيَّةِ، وَهُوَ مَثَلُ مَنْ آتَاهُ اللهُ آيَاتَهُ فَكَانَ عَالِمًا بِهَا حَافِظًا لِقَوَاعِدِهَا وَأَحْكَامِهَا، قَادِرًا عَلَى بَيَانِهَا وَالْجَدَلِ بِهَا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُؤْتَ الْعَمَلَ مَعَ الْعِلْمِ، بَلْ كَانَ عَمَلُهُ مُخَالِفًا لِعِلْمِهِ تَمَامَ الْمُخَالَفَةِ، فَسُلِبَهَا; لِأَنَّ الْعِلْمَ الَّذِي لَا يُعْمَلُ بِهِ لَا يَلْبَثُ أَنْ يَزُولَ، فَأَشْبَهَ الْحَيَّةَ الَّتِي تَنْسَلِخُ مِنْ جِلْدِهَا وَتَخْرُجُ مِنْهُ وَتَتْرُكُهُ عَلَى الْأَرْضِ (وَيُسَمَّى هَذَا الْجِلْدُ الْمِسْلَاخَ) أَوْ كَانَ فِي التَّبَايُنِ بَيْنَ عِلْمِهِ وَعَمَلِهِ كَالْمُنْسَلِخِ مِنَ الْعِلْمِ التَّارِكِ لَهُ، كَالثَّوْبِ الْخَلِقِ يُلْقِيهِ صَاحِبُهُ، وَالثُّعْبَانُ يَتَجَرَّدُ مِنْ جِلْدِهِ حَتَّى لَا تَبْقَى لَهُ بِهِ صِلَةٌ"[2].

ولعل في تشبيه الله ﷻ هذا المنسلخ من آياته ﷻ بالكلب الذي يلهث؟ هو أنْ منْ يظهر بمثل هذه الصورة تجده دائم الكرب؛ لاتباعه لهواه، وتحكم الشهوة فيه، وتملكها له في كل أوقاته، فتصبح الشهوات بالنسبة له غرضًا، وهدفًا، وغاية له في الحياة، فهو حين تتحقق له شهوة يتساءل هل سيقوم بمثلها في الغد؟ أم أنّه سيحال بينها وبينه، لذلك فهو يعيش في كرب دائمٍ مستمرٍ من أمره، لأنّه يخاف أنْ يفوت

(١) الأعراف، الآية، (١٧٦).
(٢) تفسير المنار، رشيد رضا، ٣٤٠/٩.

النعيم أو أنْ يفوته النعيم، فيصير حاله كحال الكلب يلهث في كل أحواله، في حال الشهوة، وفي عدمها، لذلك فهو يلهث في حال أمنه وكربه، وفي حال شبعه وجوعه، في حال ريه وظمئه.

والله ﷻ بذكره لهذه القصة يريد أنْ يوضح لنا " المنهج المناسب للواقع؛ لأنّ واقع الحياة يعطي القصة القولية حرارة وسخونة، فلا يظل المنهج مجرد كلام نظري معزول عن الواقع. وهكذا بَيّن الحقّ ﷻ في هذه الآية، أنّه قد أنزل علمَ منهجه بواسطةِ الرسلِ إلى بعضِ خلقهِ، فمنهم من يأخذُ منهجَ اللهِ بالاستيعابِ أولاً، وتوظيف ما علمَ ثانيًا، وبذلك يرتفعُ من منطقِ الأرضِ إلى منطقِ السماءِ. ومن يعطيه اللهُ ذلك المنهج، ما كان يصحُ له أن يتركَ ارتفاعه إلى السماءِ، ليهبطَ إلى مستوى الأرضِ. وهذا ما يفعله البشرُ حين يقننونَ لأنفسِهم، ويضعون نظم الحياةِ على وفقِ هواهم، وعلى وفقِ نظمِهم، ويتركون منهجَ اللهِ الذي خلقهم وصنعهم ووضعَ لهم قانونَ صيانتِهم"[١].

هذا، وإنْ كانت الآية تخص بلعام بن باعوراء[٢]، إلا أنّها يمكن أنْ تنسحب على كل من قام بالانسلاخ من منهج الله ﷻ بالركون إلى الدنيا والميل إليها، ظانًا منه أنّه مخلد فيها.

ويؤكد ذلك الإمام رشيد رضا، بقوله: " وهذا المثَل في قول كثير من أهل العلم بالتأويل عام في كل من أُوتي القرآن فلم يعمل به. وقيل: هو في كل منافق. والأول أصح"[٣]. وبمثله يقول الإمام الشعراوي: بـ " أنّ الذي يريد الله أنْ يرفعه بما علمه من منهج فانسلخ من دينه؛ فهو مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله، ولستم بدعًا في هذا"[٤].

ولعل البعد الواقعي للآية في الواقع المعاصر،" ينطبق هنا حتى على المسلمين الذين يشترون بآيات الله ثمناً قليلا، وهؤلاء هم خطباء الفتنة الذين رآهم رسول الله ﷺ تقرض شفاهم بمقارض من نار. فسأل: من هؤلاء يا جبريل: فقال خطباء الفتنة "[٥].

المثال الثالث: اللفظ المركب في قوله تعالى: ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾.

قال تعالى: ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ**﴾[٦]. هناك في الصحراء القاحلة، المترامية الأطراف، يترك نبي الله إبراهيم عليه السلام زوجته بصحبة رضيعها ويمضى في الطريق التي رسمها الله ﷻ له، مؤديًا ما عليه من واجب تجاه الدعوة إلى التوحيد، رغم سؤال السيدة هاجر- رضي الله عنها- له، كيف تتركنا في

(١) تفسير الشعراوي، الشعراوي، ٤٤٦١/٧.
(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣١٩/٧.
(٣) المرجع نفسه، ٧/ ٣٢٣.
(٤) تفسير الشعراوي، الشعراوي، ٤٤٦٣/٧.
(٥) المرجع نفسه، ٣٠٣/١.
(٦) إبراهيم، الآية، (٣٧).

هذا الوادي الموحش، المقفر، عديم الحياة والحركة، فلم يلتفت، متيقنًا أنّ الله لنْ يضيعهما أبدًا.

وهنا توقن السيدة هاجر - رضى الله عنها - أنّ ذلك أمر الله ﷻ لنبيه إبراهيم عليه السلام وهو المعنى الحقيقي للإيمان به ﷻ، فتقدم أروع الأمثلة في الطاعة بقولها دون تردد أو شك، "إذن فإنّ الله لن يضيعنا"، فيرزقها الله ﷻ وطفلها من حيث لا تحتسب، ويتحول بعد ذلك مكان سعيها بين الصفا والمروة إلى ركن من أركان الحج، ويجعل خاتم الأنبياء والمرسلين وأفضل الخلق أجمعين محمد ﷺ من نسلها المبارك، ويكافئها الله ﷻ بأنّ وفاها حقها، وأجزل لها العطاء، فعطر ذكرها وأعظم ذكراها، كما منّ عليها بدفنها بجوار بيته وآنسها في وحشتها.

ولعل الدلالة الرمزية في قوله تعالى: ﴿**بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ**﴾. هو أنّ هذا القحط والقفر المجدب، وانعدام الحركة والحياة، يناسب الظلام المتمثل في الشرك أو البعد عن منهج الله ﷻ، والذي يتسبب بدوره في خراب العمران، وفساد الحياة، وانقطاع الخير(١).

كما أنّ ترك نبي الله إبراهيم عليه السلام لزوجته السيدة هاجر- رضي الله عنها- ورضيعها في هذا الوادي المخيف يشير إلى الضياع " لانقطاع الأسباب المادية، وعجز الإنسان وضياعه؛ إنْ لم تتداركه رحمة الله وعنايته"(٢).

ولعل البعد الواقعي لهذا المشهد في الواقع المعاصر، ينطبق على حاضر الأمة الإسلامية، حيث تعلقت بالأسباب المادية وبعدت عنْ منهج ربها ﷻ. هذا الواقع الحاضر مخالف كل المخالفة لواقع السيدة هاجر، حيث أسكنهم نبينا إبراهيم بهذا الوادي حتى لا تتعلق بالأغيار قلوبهم، ولا تشتغل بشيء أفكارهم وأسرارهم، فهم مطروحون بباب الله، مصونون بحضرته، مرتبطون بحكمه، فإنْ رعاهم كفاهم وكانوا أعز الخلق عنده، وإنْ أقصاهم ونفاهم كانوا أضعف وأذل الخلق لديه(٣).

هذا، ولمّا تعلقت الأمة بالأسباب، وارتبطت بالأغيار، وانشغلت عقول وقلوب أبنائها بغير الله ﷻ نحاهم عن بابه، وحرمهم توفيقه واهتمامه، وخلاهم وأنفسهم، فبعدوا عن عنايته ورعايته وكفايته، فهانوا عليه، بعد أنْ صنعهم على عينه، فأصبحوا أضعف الخلق وأذلهم، لذلك أصبحت الأمة ترسخُ في براثن الجهل والتخلف والتشرذم، وما الازدراء العالمي الموسومة به أمتنا الإسلامية، إلا علامة على السخط والعقاب الإلهي لها، فليس هناك دم أرخص من دماء المسلمين. وليس هناك انتهاك لحرماتِ أحدٍ إلا حرمات المسلمين، ولعل ما يشهد لذلك هو ما يَحْدُث في بلادنا المسلمة في شتى أنحاء العالم.

المطلب الثالث: محترزات التعامل مع قضية أبعاد المفاهيم في القرآن الكريم.

---

(١) انظر: الرمزية في القصة القرآنية، د. سامي رفعت الأشقر، ص٤٧٦٤.
(٢) المرجع نفسه، ص٤٧٦٤، ٤٧٦٥.
(٣) انظر: لطائف الإشارات، القشيري، ٥٧/٢.

من المعلوم المقرر أنّ القرآنَ الكريم واضحُ الدلالة، ميسرُ الفهمِ، والحفظِ، والعملِ، صالح للتطبيقِ في كلِ الأزمنةِ والأمكنةِ. غير أنّ تفسيرَه يقعُ على أربعةِ أوجهٍ: " وجهٌ تعرفه العربُ من كلامها، وتفسير لاَ يُعذر أحدٌ بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلاّ الله تعالى ذكره"[١].

وإنّ أصحَ الطرقِ في تفسيرِ القرآنِ " أنْ يُفَسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنّه قد بسط في موضع آخر، فإنْ أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنّها شارحة للقرآن، وموضحة له"[٢].

كما أنّه لا مانع من " تفسير القرآن بالاجتهادِ، بعد معرفةِ المفسِّرِ لكلامِ العربِ ومناحيهم في القولِ، ومعرفتِه للألفاظِ العربيةِ، ووجوهِ دلالاتها، واستعانتِه في ذلك بالشعرِ الجاهلي ووقوفهِ على أسبابِ النزول، ومعرفتِه بالناسخِ والمنسوخِ من آياتِ القرآنِ، وغيرِ ذلك من الأدواتِ التي يحتاجُ إليها المفسِّر"[٣].

يتضح من ذلك أنّ الشخص الذي يتعرض للتفسير بالرأي يجب أنْ تتوفر فيه مجموعة من الشروط. فهو محاط بحدود معينة ومقيد بقواعد محددة. وعندما يتجاوز هذه القيود، يصبح تفسيره مجرد تعبير عن الهوى، وهو ما يُعد تفسيرًا مذمومًا.

لذا، يتعين على من يتعامل مع النص القرآني المقدس، خاصة فيما يتعلق بأبعاد المفاهيم فيه، أنْ يتحلى بالحيطة والحذر أثناء دراسته وتطبيقاته أو تنزيلاته على الواقع المعاصر. كما ينبغي أنْ يكون ما يُقال عن آيات القرآن متوافقًا مع ما جاء به الشرع الحنيف، وأنّ يأتي متمشيًا مع الأطر والقواعد المشروعة والمنضبطة، حتى لا يَضل صاحبها، فيُضل بضلاله آخرين.

وعليه، فإنّه ينبغي تجنب الغوص في الرمزية عند تفسير النص القرآني، والالتزام بالإشارات الرمزية العامة التي يعبر عنها القرآن من خلال مجموع آياته. هذه الإشارات لا يمكن إنكارها سواء من الناحية النقلية أو العقلية أو الواقعية، وذلك دون التعدي على الأصول اللغوية والضوابط التفسيرية، أو التلاعب بالنص أو التعسف في تفسير معاني آياته.

ومن الضروري التأكيد على أنّ المفاهيم القرآنية، بما تحمله من دلالات، لا تتواجد في الآيات التي تتناول الأصول العقدية والأحكام الشرعية، سواء كانت تتعلق بالحلال أو الحرام، أو بالأوامر والنواهي. لذا، يجب أن تكون مثل هذه الآيات واضحة الدلالة ومحددة المعنى.

مما سبقَ يمكن القول بأنّ التعاملَ مع الآياتِ القرآنيةِ بما تتضمنه من ألفاظ، سواء أكان هذا اللفظ كلمةً أو شخصًا أو رمزًا، يكمن في الإيمان باللفظة إيمانًا

---

(١) جامع البيان، الطبري، ٧٥/١.
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/١.
(٣) التفسير والمفسرون، د. محمد الذهبي، ١/ ١٨٣ .

مطلقًا، مع الوقوفِ عند حدودِ تفاصيلِها التي ذُكرت فيه، حدثًا كان أو غيره، دون الحاجة إلى إغراقِها في أبعاد مفهومها. كما يجبُ على الفردِ الغوصَ في المعاني لاستنباطِ الإشاراتِ والدلالاتِ الدالةِ على العظةِ والعبرةِ، مع التركيز على المضامين دون الشكلياتِ، إذ إنّ ذلك هو الهدفُ الأسمى والغايةُ العظمى مِنْ نزولِ القرآنِ.

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات:

أولًا : أهم النتائج.

من خلالِ دراسةِ موضوعِ تنزيل المفاهيم القرآنية على الواقع المعاصر، تبين لي بعضَ النتائجِ، هي:

١- أظهرت الدراسة أنّ القرآن الكريم بما يتضمنه من دلالات رمزية تحمل أبعادًا واقعية، يمكن تطبيقه وتنزيله على الأحداث في كل زمان ومكان، حتى وإنْ اختلفت مسميات الأشياء أو الأشخاص.

٢- كشفت الدراسة أنّ التأمل والتفكر في الآيات القرآنية يعد ضرورة شرعية؛ للاستفادة من المعارف والعلوم واللطائف والإشارات التي يتضمنها القرآن.

٣- أظهرت الدراسة أنّ المفاهيم القرآنية بما تحمله من دلالات رمزية للألفاظ والأشخاص، تتميز بالتجدد والاستمرارية. وكأنّها كائن حي يتفاعل مع الناس، يأمرهم وينهاهم. لذا، فإنّها تمنح القارئ العبر والعظات، وتمكنه من ربط الأحداث الماضية بالوقائع التي يعيشها في يومه.

٤- كشفت الدراسةُ أنّ الأبحاث في ميدانِ البلاغةِ والاعجازِ في القرآنِ لا تزالُ تحتاج إلى إعمالِ ذهنٍ، وبذلِ جهدٍ للكشفِ عن مزيدٍ من المضامين والأسرار المتدثرةِ داخلَ النصوصِ القرآنيةِ المجيدةِ.

٥- أكدت الدراسة أنّ التعامل مع المفاهيم القرآنية التي تحمل دلالات رمزية تتطلب مستوى عالٍ من الفهم والمعرفة. كما يجب أنْ يتمتع الشخص الذي يتناول هذه المفاهيم بالروية والحكمة، حتى لا يبتعد القرآن عنْ هدفه الأساسي وهو الهداية والإرشاد. وإلا فإنّ الأمر قد يتحول إلى مجرد طلاسم ورموز تحتاج إلى من يقوم بفك شفرتها، مما قد يدفع البعض إلى الادعاء بأنّهم يمتلكون مفاتيح فهم هذه الرموز بشكل حصري.

ثانيًا: التوصيات.

توصي الدراسةُ بمزيدٍ من الاهتمامِ والعنايةِ بدراسةِ قضيةِ تنزيل المفاهيم القرآنية على الواقع المعاصر، إذ إنّ التلقي العملي للقرآنِ هو الأقل بكثيرٍ من عمليةِ التناولِ والمدارسةِ في العصرِ الحاضر، الأمر الذي يحمل في أطوائِه إهدارًا لجانبٍ مهمٍ ورئيس في التعاملِ مع القرآنِ والارتباطِ به.

هذا، وقد ظهر لي منْ خلالِ البحثِ في موضوعِ (تنزيل المفاهيم القرآنية على الواقع المعاصر) وجود بعض الموضوعاتِ التي تمس هذه القضية، يُمكن إفرادها بالدراسةِ والبحثِ، والتي منها: تنزيل ألفاظ القصص القرآني على الواقع المعاصر " دراسة تحليلية ".

المصادر والمراجع

- **الأبعاد التربوية لمفهوم الاستقامة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية**، سهير عبد الله كولك، قسم أصول التربية، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- **الاستذكار**، ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- **الإسلام والحضارة المعاصرة**، علي طنطاوي، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياش، ١٩٧٣م.
- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- **الإمام محمد عبده - سلسلة الأعمال الكاملة:(الإصلاح الفكري، والتربوي، والإلهيات)**، تحقيق: د. محمد عمارة، دار الشروق، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٩م.
- **أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء**، قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي، تحقيق: د. أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي، دار الوفاء، جدة، ط١، ١٤٠٦هـ.
- **أهمية المفاهيم العلمية في تدريس العلوم وصعوبات تعلمها**، منصور مصطفى، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي العدد ٨٠ ، سبتمبر ٢٠١٤م.
- **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، راسم للدعاية والإعلان، جدة، السعودية، ط١٤١٠،٣هـ/١٩٩٠م.
- **البحر المديد**، أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس(ت١٢٢٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- **البداية والنهاية**، اسماعيل بن كثير الدمشقي أبو الفداء (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- **بناء المفاهيم (المقاربة المفاهيمية)**؛ محمد بن يحيى زكريا، وحناش فضيلة، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، ٢٠٠٨م.
- **بناء المفاهيم؛ دراسة معرفية ونماذج تطبيقية**، الجزء الأول: إبراهيم بيومي، أسامة محمد القفاش، إشراف: علي جمعة محمد، وسيف الدين عبدالفتاح إسماعيل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ١٤١٨هـ /١٩٩٨م.
- **التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور**، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي(ت١٣٩٣هـ)، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.
- **تفسير الشعراوي**، محمد متولي الشعراوي، قطاع الثقافة، أخبار اليوم، ١٩٩٧م.
- **تفسير القرآن الحكيم**، محمد بن رشيد بن رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
- **تفسير القرآن العظيم**، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

- **التفسير القيم،** محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية أبو عبد الله (ت ٧٥١هـ) جمع: محمد أويس الندوي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.
- **التفسير الميسر،** مجموعة من العلماء، عدد من أساتذة التفسير، إشراف د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، د.ت.
- **التفسير الوسيط للقرآن الكريم،** د. محمد سيد طنطاوي، مطبعة السعادة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- **التفسير والمفسرون،** د. محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، عابدين، القاهرة، ط٣، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- **تناسق الدرر في تناسب السور،** جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- **تهذيب اللغة،** محمد بن أحمد الأزهري، أبو منصور، (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- **التوقيف على مهمات التعاريف،** محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر, دار الفكر، بيروت, دمشق، ط١، ١٤١٠هـ.
- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،** عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن،** محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، (ت٣١٠هـ)، دار الفكر للطباعة، د.ت.
- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه،** محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبد الله، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- **الجامع لأحكام القرآن،** محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله(ت٦٧١هـ)، هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
- **الجواب الكافي،** ابن قيم الجوزية(ت٧٥١هـ)، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، دار عطاءات العلم، الرياض – دار ابن حزم، بيروت، ط٤، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م.
- **الجواهر في تفسير القرآن الكريم المشتمل على عجائب المكونات وغرائب الآيات الباهرات،** طنطاوي جوهري، مصطفى البابي الحلبي، مصر، د.ت.
- **الدر المنثور،** عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- **الرمزية في القصة القرآنية،** د. سامي رفعت عبد القادر الأشقر، كلية الآداب، جامعة السويس، مجلة كلية الآداب بإيتاي البارود، العدد الثالث والثلاثون.
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،** محمود شهاب الدين أبو الثناء الحسين الألوسي، (ت١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- **زاد المسير في علم التفسير،** عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.
- **الزاهر في معانى كلمات الناس،** أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- **زهرة التفاسير،** محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، د.ت.

- **سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي**، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، دار المعرفة، بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ.
- **شرح النووي على صحيح مسلم:** المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، إسماعيل بن حماد الجوهري(ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل، دار الأفاق الجديدة، بيروت، د.ت.
- **العولمة**، سليمان بن صالح الخراشي، دار بلنسية، ١٤٢٠هـ.
- **الفائق في غريب الحديث**، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، ط٢، د.ت.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- **كتاب العين**، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال، د.ت.
- **الكشف والبيان**، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م .
- **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.
- **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط١، د.ت.
- **لطائف الإشارات**، عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق: د. إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٠م.
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي أبو محمد، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- **مختار الصحاح**، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، (ت٦٦٠هـ)، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة جديدة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- **المصباح المنير**، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، (ت٧٧٠هـ)، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، د.ت.
- **معالم التنزيل**، الحسين بن مسعود البغوي محيي السنة أبو محمد (ت٥١٦هـ)، تحقيق وتخريج: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- **المعجم الفلسفي**، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٣م.

- **المعجم الوسيط**، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، مصر، القاهرة، د.ت.
- **مفاتيح الغيب**، محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، فخر الدين(ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، ط٤، ١٤٢٠هـ.
- **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١٩٩٦،١م.
- **موسوعة لالاند الفلسفية**، أندري لالاند، ترجمة: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، وباريس، ط٢، ٢٠٠١م.
- **النكت والعيون**، علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري أبو الحسن، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.